إلى القارئ

لا يزال العرب والمسلمون تحت وقع الصدمة العنيفة التى داهمتهم فى كرامتهم وفى أوطانهم ومقدساتهم وزعزعت كيانهم ؛ وبينما يواصل الظالمون دوس الحرمات وتحدى أبسط المبادىء والاصول الاخلاقية التى تقوم عليها حياة البشرية المعاصرة ، وتتمطط مداولات الأمم المتحدة وتتردد بعض « الضمائر » فى شجب العدوان والمطالبة باجلاء قوى الاحتلال الغاشمة عن أراضى العرب ، نشاهد ، نحن المنتسبين الى الثقافة والفكر ، والحسرة والغضب يتجاذباننا، نشاهد ظاهرة غريبة قلما وجدنا لها مثيلا حتى فى أحلك الظروف التى مر منها تاريخ الانسان !

ذلك ان العدوان الصهيونى لم يكد يبدأ حتى تعالت أصوات جماهير المثقفين ورجال الفن فى معظم بلدان العالم وتبارت فى نصرة اسرائيل وتسابقت الى تشويه العرب ومسخ وجهة نظرهم العادلة ؛ اتحد فى ذلك أهل اليمين واليسار وتلاقى الشباب والشيوخ وانسجم المؤمنون والملاحدة فى حرب صليبية من نوع جديد !

نحن نعلم ان للقضية جوانب سياسية وعسكرية واقتصادية يمكن بل يجب علاجها وتبين جميع جوانبها لكسب الجولة المقبلة ؛ لكن كيف نفسر هذا الموقف العدائى « الأعمى » الذى وقفه رجال الفكر والأدب والفن والصحافة من مأساتنا ؟ لا بد لنا من وقفة تأمل وتحليل لنستجلى الاسباب ونتعظ ، فنضبط الوسائل الكفيلة بربح المعركة النفسية والفلسفية ونساهم فى عزل اسرائيل من الوجهة الايديولوجية .

الواقع اننا ، معشر الادباء والمفكرين العرب ، قصرنا فى القيام بهذا الواجب واقتصرنا على الوجدان والشعر ولم نتجاوز مستوى التحدى اللفظى بينما تحتاج الفكرة الى فكرة اخرى تقارعها وتقيم الدليل على تهافتها ، وتحتاج القضية ايضا الى حوار مذهبى لا فى حدود العالم العربى فحسب بل بالخصوص بين العرب وحامل القلم فى كل مكان .

لأن قضيتنا عادلة ولأنه لا بد لنا أن ننتصر !

ولأن ربح المعارك فى ساحات الوغى يقتضى فى كثير من الاحيان ربحها أولا فى مستوى الفكر .

الفكر

بربك قل لي !

شعر : أحمد اللغماني

1) الى العالم الغربي

بربك قل لي !
ألست المنـادى ؟
ألستَ المردد في كل ناد :
« مصير البلاد لأهل البلادَ . »
ألم تنفخ البوقَ في كلّ وَادَ
بأنك حرب لكلّ مُعاد ؟
ألم تتشدّق بأنك حر ؟
ضميرك طهرٌ ،
ووجـهك بـشر ،
وكلـك خير ،
وعالمك المتفتّح حرّ
فلا فيه ظلم ، ولا فيه قهر .
وتعلم أن فلسطين نهب ،
تلاقى عليها غراب وذئب .
وأنت تنادى ...
وتدعو لدعم الإخا والوداد .
وفي خفية تستحث الغرابا ،
وتغري الذئابا
وتحشد للعرب ظفرا ونـابا .
فأين المبادى ؟
فهل أصبحت كفقاقيع سيل ؟
وتنصحني بالرضا ، بالتخلّي ...
عن الحقد يطغى بصدري ويغلي ،
عن الثأر تشعله نار غلّي .

برّبك قل لي !
فما كنتَ تصنع لو كنتَ مثلي ؟

2) الى العالم الشرقيّ

برّبك قل لي !
ألم تكُ تعلم من تسع عشره
بأّنك باركتَ تلك المعرّه ؟
وأّنك سالمتَ من كنت تكرَهْ ،
وعزّزت أزره ،
لطعن العروبة في حين غِرّه
تحالفتما كي تفوز بأرضي
حثالة جنسٍ :
حليفة رجس ،
ثعابين كيد ، وجرذان نحس ،
تعيث بروضي ،
وتهدم حوضي
تمصّ دمائي ، وتهتك عرضي
ألم تكُ تدرى ؟
بأنّ صنيعك جرح بصدرى ،
وفي يدك النّصل ما زال يفرى .
وتخطب من بعد ذلك ودّي .
بشكرى ، وحمدى ،
وأن «اشتراكيتي» أصل مجدي ،
و«ثوريّتي» أصبحت سرّ «مدّي»
وأن فلسطين لي أنا وحدي ،
وأنك خلفي تبارك جهدي
وأّنكَ لن تتراخي لمدّى ...
نعم ! كان مَدُّكَ لي طَنْطَنَهْ
ومَدُّ حليف العدَى دَنْدَنَهْ
وشتّان ما بين لفظ يطنْطِنْ ،
وقصف يدَنْدِنْ !!!

وتطمع في أن أرى فيك خِلّي
بربّك قل لي !
فكيف تُصدّقُ لو كنتَ مثلي ؟

3) الى العالم العربي

بربّك قل لي !
أيا من أرى فيه ذلّي وعاري !
ويصحبُني ذُلّه مثل ظلّي !
متى – يا شقيقي – تُتمّمُ «كُلّي» ؟
ويُربط «بعضي» «ببعضي» بوصلٍ ؟
فيُجمع شملي ،
وتعمر داري ،
وترضع دَرَّ الإخاء صغاري ،
فيذهب ذلّي ،
ويُغسل عاري .
بربّك قل لي !
أما آن أن نفتحَ الأعيُنا ؟
أما آن أن نُسكتَ الألسنا ؟
فيا طالما قد أساءت لنا !
أما آن لي أن أرى فيك ذاتي ؟
وتغدو حياتُك رهنَ حياتي ،
فإنّيَ أنتَ ، وأنتَ أنا .
بربّك قل لي !
متى – يا شقيقي – تتمّم «كلّي»
فيُغسل عاري ، ويذهب ذُلّي ،

احمـد اللغمـانى

ما فات امتنا الموعد

شعر : جعفر ماجد

أخى يا أخى جرحنا يضمد ونصمد فى وجههم نصمد
فلا تبك فى وجه أعدائنا فموعدنا فى اللقاء الغد
أخى نحن نحيا على رغمهم وإن قتلونا وإن شردوا
أخىّ أين أمجاد أجدادنا وما دعموه وما وطدوا
أنتركها لهباء السنين ونفنى ونرضى بما حددوا
حكمنا البلاد أخى قبلهم ولم نك نحرق أو نجلد
ولم نك نأكل لحم اليهود وكم مزقوه وكم بددوا
وصهيون لم ينس جلاده وآثاره لم تزل تشهد
أخى أشرق الصبح فى أرضنا يهيب به المجد والسؤدد
وسارت جيوشك فى موكب يبشر يافا به المنشد
فقامت مع الفجر مذهولة كأم يعود ابنها الأوحد
ولاحت على الأفق راياتنا فهال أولى الغدر ما نعقد
ولكننا يا أخى عائدون فما فات أمتنا الموعد

جعفر ماجد

ليخفت الحق صوت الباطل العاتي

شعر : الشاذلي عطاء الله

في مولد الطهر من ارض البطولات   تهفو النفوس الى مهد الرسالات
من دار عقبة من محراب مسجده   اذ ترتوى الروح من نبع الهدايات
من ساحة القبلة الاولى وقد سمع   التكبير عند الضحى من نحوها آت
ومن مقام عبيد الله محتضن   الشعب المقدس فى روح وفى ذات..
ومن معسكر جيش الفتح فوق ربى   وادى زرود ومن تلك الثنيات
لتربة ضمت الاطهار وافتخرت   بالمرسلين وباهت بالنبوءات
لموضع القدم الباق لاخمصها   فى صخرة المرتقى اجلى العلامات
لبقعة فى ثراها تحت قبتها   ثوى الخليل فعدت فى المزارات
الى الاشقاء فى القدس الجريح   وفى الاردن غاب العوالى المشرفيات
الى اسود الوغى فى « جلق وعلى   مشارف الشام فى تلك المتاهات
لاخوة فى ربوع النيل تربطنا   بهم وشائج شدت بالقرابات
اليكم اليوم فى ارض العروبة من   بنى الاشقاء الى ابناء علاتى
شواهد النجدة الحرى وصيحتها   وصرخة الدم من اقصى المسافات
وزحفة الثار للمجد الطعين ولـ   ـلانف الاشم واذلال المروءات
يا إخوة فى ربوع الشرق وحدنا   دم العمومة فى عرق الخؤولات
ولم نكن لسوى جد وان فصلت   هذى الخرائط ما بين الارومات
تهزنا ان علا خطب وشائجنا   وحرقة الدم رغم الانتفاضات
ان قام فى الشرق من يدعو لنجدته   لباه فى الغرب سباق لثارات
يا امة ذاقت العدوان صامدة   واستهدفت لضروب الاضطهادات
قلوبنا بخطوط النار خافقة   من حولكم من وراء المعنويات
يكاد يحملها الشوق الملح الى   ساح الوغى وميادين الشهادات
لئن خسرنا بخط النار معركة   فانها جولة تتلى بجولات
والحرب وهى الصراع المستميت على   كل الخطوط وفى كل المجالات
لا يكتب النصر فيها للمهاجم ان   طغى الصمود على روح البطولات
ما ضرنا ان اصبنا فى مخططنا   او كان للغدر دخل فى الحسابات
او كانت القوة العمياء تسندهم   وشاهد الحال من اقوى الدلالات
فاننا لم نصب فى روح عزتنا   ولم نطاطىء لحكم العنصريات
وما بدا الشرف السامي وهامته   محنية للنذالى والنفايات
وانما الغدر والعدوان ما ائتمرا   الا وفازا ببعض الانتهازات

وقد ازاحت ظروف الحرب اقنعة   عن اوجه غالطتنا بالمداجاة

حتى اذا ابرزت صهيون ناجذها   وصوبت نحونا اولى الرصاصات

هب النسور لتمزيق الاديم وهل   ترضى النسور بما دون الحشاشات

واعلن الحقد لا يخفى بشاعته   عن موقف ايدوه بالقرارات

فكان للخصم تاييدا وكان لنا   درسا لمسنا به صدق الصداقات

وقد افقنا على صوت يجلجل فى   اعماقنا واصطدمنا بالخيانات

وساومونا على اوطاننا وشفوا   حقدا دفينا غذوه بالوشايات

ومجلس الامن يصغى للاوامر من   خلف الستار ومن بعض المقامات

ويسهر الاعين الحسرا ويرغمها   ان تحيي الليل فى عرض الخطابات

وأن تذيع على الدنيا محاضرها   حتى تساهم فى ستر الشناعات

وما استطاع على موفور قوته   ان يوقف البغى حتى بالبلاغات

او ان يدين ولو بالقول شرذمة   من اللصوص ومن اخزى العصابات

فكان من لعنة التاريخ الصقها   بالانصريين دعار السياسات

ولم يزل آلة صماء سخرها   الدولار جسرا لاهداف وغايات

يا أمة لم تزل رغم الخطوب وما   اصابها فى قواها من اصابات

مرفوعة الراس فى عز وفى شمم   لم تنتقص بمخاز واتهامات

ولم تصب فى قليل من كرامتها   بوصمة العار او خزى المذلات

هبنا اضطررنا لوقف الحرب ان لنا   من العزيمة كنزا للغد الآتى

ولن نبيت على ضيم الم بنا   ولن ننام على مهد الاهانات

بل سوف ندفع عن مجد العروبة ما   اصابه من رذاذ العنصريات

لم يبق عذر لنا من بعد ما وضحت   لنا الحقيقة بعد الافتراضات

وبعد ما جاهرونا بالعدا وبما   اخفوه تحت بروق الابتسامات

وهل يفيد الرثا شيئا وما وصلت   ايدى العدو لتفريق الجماعات

الا بما كسبت ايدى الشقاق وما   قد كان منها لاذكاء العداوات

حتى اذا عبأ العدوان قوته   لم يبق من مهرب او وجه افلات

فهل لنا بعد هذا الخطب من عظة   حتى نقيس على الماضى الغد الآتى

ونجمع الشمل فى صماء ثابتة   الاركان تسندها اقوى الدعامات

ونحتمى بالحمى الاقوى بعروتنا   الوثقى بملجئنا فى المدلهمات

بديننا السمح فى اسنى نضارته   بالحق والصدق فى كل العلاقات

لا نترك الياس يسرى فى عزائمنا   فاليأس ياتى على كل الكفاءات

وما اصبنا بمس فى شهامتنا   الا ببيع هدانا بالضلالات

يا وافدين على الرحمان فى حلل   من الدما وحلى من جراحات

ونازلين جوار العرش فى غرف   ما هيئت لسوى اهل المقامات

من الذين اشترى المولى نفوسهم … بالخلد فى جنة عرض السماوات
واستقبلتهم صفوف من ملائكة … يقدمون لهم أسنى الكرامات
يستبشرون بما خص الشهيد به … وهم وان قتلوا ليسوا بأموات
طوبى لهم احرزوا عز الشهادة فى … سبيل صون الحمى من غادر آت
من اجل تخليص اولى القبلتين من … المستعمرين القدامى والعميلات
إنا على ما تجرعناه من غصص … وما لقيناه من كرب واعنات
نحس بالفخر اذ كانت ضريبتنا … دما طهورا وأرواحا زكيات
واذ صمدنا الى العدوان تفرضه … شريعة الغاب فى عصر الحضارات
فليهنكم ما بذلتم فى مواقفكم … من الصمود واصناف البطولات
الى ان اختاركم رب العلى سرجا … لعرشه ونجوما للسماوات
واختصكم بمزيد من كرامته … يا رتبة دونها اعلى المقامات
بشرى الشهادة تغشاكم نسائمها … بنفحة الروح فى روضات جنات
انا نزف اليكم فى منازلكم … من شجرة المنتهى اشذى التحيات
يا سيدا تهزج الدنيا بمولده … اذ تلتقى فيه ابهى الاحتفالات
اليك نرفعها شكوى شواهدها … صحراء سينا وضفات البحيرات
وما جنى الغادر السفاك واقترفت … يداه فى القدس من اخزى الشناعات
وكيف خرب فى عنف ووحشية … مقدسات اجلت فى الديانات
وكيف مثل ارواء لغلته … من الدما بالضحايا والبريئات
فلو رأيت رسول الله امتك الـ … ـعزلا وتشريدها عبر المتاهات
لاشفقت نفسك الكبرى واغضبها … تواطؤ الشر فى كل المجالات
ادرك بجاهك عند الله عترتك الـ … ـحيرى عسى ان ترى خير النهايات
ونحن نؤمن ان الحق منتصر … رغم النفاق ورغم الانتكاسات
ومرتع البغى لا تنمو مرابعه … وان حبته السما فيض السحابات
ودينك الثابت الاركان ما رفعت … اعلامه لسوى محو الظلامات
فليعل دينك ولتنصر اصابته … وليخفت الحق صوت الباطل العاتى(*)

الشاذلى عطاء الله

(*) هذه القصيدة ألقاها الشاعر الشاذلى عطاء الله فى الموكب الذى انتظم بجامع أبى زمعة البلوى بالقيروان بمناسبة المولد النبوى المبارك .

.. بلادي حيثما شعبي ..

شعر : الهادي نعمان

سلام الله يا شعبي — منير حالك الدرب
وألطاف من الله — تحفك اليوم بالعرب
فتحميهم من العار — ومن ضعف ومن نكب
ليحموا أرض أوطاني — من التمزيق والسلب
من الصهيون في أرضي — يديم الغزو في نهب
بني أوطاننا عيشوا — على الاعداء في حرب
وكونوا أمة صدقا — تنالوا نصرة الرب
وصونوا أرضنا حزما — فداء للحمى الخصب
فداءات لأوطان — منارات من الشهب
أشعت في حضارات — وما غاضت على جدب
أترضى أن ترى نهبا — بمنهج الزعزع النكب

* * *

بني أوطاننا هبوا — وصونوا وحدة الركب
فلا زحف لاشلاء — على الآمال لا تنبي
ولا صف لاخوان — شتات بينهم شعبي
هو الخذلان إياكم — من الخذلان في الحرب
ألا هبوا لتاريخ — وصونوا راية العرب
وكونوا وحدة صفا — على بعد وفي قرب
وإلا العار يغزوكم — ولن يمحى من الدرب

* * *

دمائي في شراييني — فداء للحمى الرحب
فلا حد لأوطاني — ولا تقسيم في تربي
سنزحف مثلما شئنا — مع التاريخ في غلب
نشيد المجد أبعادا — بلادي حيثما شعبي

الهادي نعمان

كأس دم ...

بقلم : محمد مصمولي

يا قافلة الأحرار ، بدمى المسفوك على المدى . بـدمى الذى لم يجف بعد ، خبرى الشمس ...

لأول مرة . استنسر البغاث حتى ضاق صدر الرمل . ضاق ...

ارحلى يا امرأة . نهدك المراهق يسد الدرب . نهر أنوثتك يغرق صبرى . خبئى دموعك على جثتى المتدلية على الأطلال ... اسدلى ستارة أهـدابك على عينيك ـ الأفيون ...

بصرى على الأفق . رفاقى الأحرار يحفرون بأصابعهم قبرا للعدو ، ورايتى أجنحة صقر مسمرة فى كف العاصفة ...

افتح بوابة النصر ، أيها المستحيل ... بأرض الزيتـون ، والبرتقـال ، بالوطن السليب ، سنرتشف على جبل صهيون كأس دم ...

ـ وأين العدو ...؟ قال ضمير مواطن عالمى ...

افتح بصيرتك وأمامك صدرى المطعون بأصابع الدخلاء ، الأقزام الضئال . بهذا الصدر كانت ضلعة سمراء اغتصبها من أعماقى أعداء قانون الحياة ...

ـ عليكم بالأصابع الآثمة ... وكى أستعيد ضلعة صدرى الضائعة بين فكى سماسرة الحرية والانسـان ، لا بـد من رفـع نعـل حـذائى على بـؤرة الديـدن ...

محمد مصمولي

تونس 67/6/8

تقـــديس
او
قصة الشاعر

شعر : بـودلـيـــــر
تعريب : الصادق مازيغ

بمناسبة الذكرى المائوية لموت الشاعر الفرنسى بودلير أتحفنا الكاتب والشاعر المعروف الصادق مازيغ بتعريب قصيد Bénédiction لبودلير من مجموعة « زهور الشر » Les fleurs du mal . وقد عودنا الاستاذ الصادق مازيغ بهذا العمل الذى يتعدى فى الحقيقة مجرد « الترجمة » فيسمو إلى مجالات الخلق الحقيقى ، ويعد إثراء للأدب العربى وتطعيما له .

اذا مـا بأمـر مـن قضـاء محتـم وحكمـة رب نافـذ الحكم قـاهـر
ـ وقد عمت الأرض الفضاء سآمة ـ تجلت على الأكوان طلعة شـاعـر
غـدت أمـه ، وهى المروعة الحمى تصـب على الخلاق لعنـة ثـائـر
تقبـض جمعـا فى اجتـراء ونقمـة فيـرثى لمرآها عليـم السرائـر :

* * *

« ألا ليت هذا النسل ما عاش برهة ولا جاش فى بطنى لوحشة خاطرى ،
ويـا ليتنـى عـوضت عنه لفيفـة من الرقط يودى سمها بالمعاشـر
ويـا ليلـة آغـريت فيهـا بلـذة تقلقت كلمح الطرف أو خفق طائر
ولكننـى أعقبـت منهـا تنـدمـا ، وقد قر فى الأحشـاء نشء المناكـر

* * *

« دعيـت الى هـذا الشقاء وحيـدة وقد أعفيت منه بنـات العشـائـر
وطوقت وحدى بالهـوان ، فعـافنى حليـلى ، وقـد أودى بهـم مسـاور
وهل لى أن ألقـى برجسـى طعمـة الى حضن نار عارم اللفـح غـامـر
كما أحـرقت أيـدى المحبين رقعـة بها رسـم عهـد للصبابة غـابـر

« لذلك ها إني مدى الدهر أنطوي — على عزمة للثأر اذكت مشاعري
وأصرف همي كي تنال قوارعي — أداة لتعسى ساقها ظلم قاهر
سأرهص أغصانا لغرس مبغض — الى وأصليه جحيم العناصر
فلا عرقه يمتد في كنف الثرى — ولا عذقه يهفو بعرف الأزاهر »

* * *

وتطوي على البغضاء كشحا تأججت — به لفحات من لهيب المجامر
وقد أمعنت في الاثم جهلا ، وما درت — خبايا تعلم الله خلف الستائر
كذلك أمسى في الصميم من اللظى — مهاد لردع الأمهات الفواجر
وفي القعر من دار الشقاوة مرتع — خصيب الآثام لهن سوافر

* * *

وتقسو على الطفل الحياة بهولها — فيوشك أن يغدو بصفقة خاسر
ولكن أسراب الملائك خفية — رعته بطرف دائب اللحظ ساهر
فأضحى بلألاء من النور ينتشي — وينهل من سلسال أزرق هامر
وتغذوه أثمار الخلود شهية — فيمرح في جو على الدهر نائر

* * *

يناجي نسيم الفجر وهو مرفرف ، — ويلهو مع السحب الغوادي النوافر
وينشد للأيام أنشودة الأسى — ترق حواشيها كخفق المزاهر
ويقفوه روح للطهارة والصفا ، — فيبكي لمرآه عجيب المظاهر
وقد راعه منه ابتهاج ونشوة — على الدهر لا تبلى كنشوة طائر

* * *

ومن كان يهفو نحوهم في تودد — تحاموه في جهل بطرف محاذر
ودونهم من أولعوا بجراءة — عليه لطهر في سجاياه قاهر
وأغرتهم منه الوداعة والحيا — فمالوا الى إلقائه في المغاور
تباهوا بإيذاء له ، وتفننوا — بقسوتهم في قذفه بالمناكر

* * *

ودسوا له الأقذاء والسم ناقعا — بكأس الحميا غيلة في المقاصر
وما انفك منهم نافث في انائه ، — يسيغ له طعم الحتوف الهواصر
وان جس شيئا عده بعضهم أذى — ورجسا بوحي من رياء مخامر
ويأنف أن يقفو خطاه ويحتذي — محجته في أنهج ومعابر

ومالت الى الساحات تصرخ زوجه وتصدح فى حشد من القوم زاخر :
« ألا إنه المغرى بحسنى وبهجتى وكم خر تقديسا لها دون زاجر
لذلك قصدى أن أنافس دمية تعبدها الماضون فى دهر داهر
فأعنى بتجديد وصقل لحلة من الذهب الابريز غشت خواصرى

* * *

« وأبرد غلى من شذى وروائح وعطر وريحان وعرف المباخر
وأمعن فى اللحم الشهى وفى الطلا وفى كل عيش ريق الطعم فاخر
وفى كل ما تسدى الى عصابة توافت لاجلالى وسرد مفاخرى
فأعلم هل إنى الحرية أن ترى سمية ربات الخلود العباقر

* * *

« وإنى اذا ما انتابنى سأم الخنى وأضجرنى ما عشته من مناكر
ولم تبق فى نفسى الى اللهو صبوة ، وأعرضت عن لون من العيش داعر
عمدت اليه فى حنان وقسوة ، وجرعته الآلام من كف جائر
وغاديته صيدا يلذ فريسة وأنشبت منه فى الصميم أظافرى

* * *

« سأصدع منه الصدر فى غير رحمة وأنزعه قلبا رقيق المشاعر
يفور نجيعا قانيا فى اختلاجه ، كما اهتز خفاق الحشا فرخ طائر
وألقيه فورا للثرى دون رأفة تطالعه منى ابتسامة فاجر
ولست أبالى أن غدا آكل داجن ولعت به ، أم بات مثوى لحافر »

* * *

وبينا يسام الشاعر العسف خطة اذا الروح تسمو منه فى سمت صابر
فيبسط كفيه الى الله ضارعا ، ويرنو الى عرش سنى المفاخر
وقد عمه اللألاء من كل جانب ، وحلق فى جو من الأنس غامر
يواريه محض الصفو عن مشهد الورى، وبذهله عن داميات المجازر

* * *

« ألا بوركت يمناك ربا وقدست أياديك صنعا فى قديم وحاضر
فأنت الذى سوغتنا جرع الأسى وهول الرزايا لابتلاء السرائر
فطهرت أرجاسا علقن بأنفس وأهلت أفذاذا لخير المصائر
فلولا الأسى ما كان يعذب منهل ، ولا فاز أبرار بحلو البشائر

« يقينا لقد أسديت، يا رب، فى الدنى   الى الشاعر الموهوب أسمى الخواطر
وأصفيته بالقرب منك مع الألى   تحلوا بامجاد النهى والضمائر
وأسكنته دار الخلود منعما   برفقة من خصوا بطهر المآزر
فأمسى مقيما فى الذرى متبوئا   مع الملا الأعلى سنى المنابر

* * *

« وأعلم حقا أن ما حز من أسى   بصدرى فأهمى داميات محاجرى
هو الشرف الأسنى الذى لن تطوله   لظى أو يناوى بالسيوف البواتر
يتوجنى إكليل عز وسؤدد   تقدس فى حسن له عن مناظر
تجمع فيه كل فن وآلفت   روائعه من كل ماض وحاضر

* * *

« ولو أن ما ضمته (تدمر) من حلى   وأبلته فى مر العصور الغوابر
وما فاق من أصناف تبر وعسجد   ومن لؤلؤ آوته لجة زاخر
ينضد فى عقد فريد مرصع   كأروع ما يبدو لمقلة ناظر
لما كان الا دون تاجى بهجة   ولا بزه مجدا نقى المآثر

* * *

« وما ذاك الا أنه صيغ من سنى   نقى ومحض من ضياء العناصر
وفجر من قدس القداسة موطنا   فاسفر عن نبع من الحسن هامر
ومهما تجل من ضياء باعين   ستذوى وتبل فى الرسوم الدوائر
فان هو إلا شبه مرآة بهجة   تسامت وجلت عن سمى مناظر »

الصادق مازيغ

– ماى 1967 –

والذي حارت البرية فيه ...

بقلم : البشير المجدوب

سؤال لا بد أن يعترضك أحببت أم كرهت فى بعض طريقك يوما ، ضيفا ثقيلا أو خصما لدودا :

« ما أنا ؟ ماذا أكون ؟ ... يخدعنى عن نفسى هذا الكيان الشديد المتماسك وهذا الوجود المكتنز الخصب حتى أكاد أغص بذاتى ريا وامتلاء ، طربا وزهوا.

محدود ضئيل بشخصى لكن فسيح مترام لا أحد بذاتى وفكرى .

لكأنى أحتوى الكون وأشده إلى شدا أو كأنما أنغرز فيه إلى الصميم تاصلا ورسوخا إذ أفكر فيه فى هذه اللحظة بالذات ...

لقد فرضت عليه وجودى هكذا بدءا وكأنى من حيث لا أشعر وبمحض فكرى ومطلق مشيئتى صنعت نفسى بنفسى خلقا واقتدارا ، حرية وإعجازا » .

يا لجموح الفكر المطلق وعربدته وجنونه !

لم تكن إلا لحظة من نشوة صلفا وعزة تجاوزت طورك فيها وبلغت الأقصى ثم قطع بك وهيض جناحك ووقعت إلى الأرض هويا ورددت إلى « صوابك » وقرارك وثقلك وكثافتك واعتنقتك الطبيعة الأم واحتواك الجسد .

فما أسرع ما تبدد الملك والنفوذ وباخت العزة والسطوة وتلاشى الوهم السراب فاذا أنت أنت ، خفى شأنك مغموز أصلك ضائع قلق مصيرك قد عدت وشيكا إلى نسبيتك وضآلتك وحدودك وقد أطبق عليك سجنك واستحلت ضبابا كما كنت شبحا بين أشباح .

فما هذا الذى يريدك قسرا (حدسا الهيا أو همس شيطان ؟) على ان لا ترى جوهر حقيقتك ولب معدنك إلا فى شعلة الفكر الوهاج تجتلى كنهك فيه وحده اتحادا به وإقرارا ، وتتنكر فى قرارة نفسك ما سوى ذلك جحدا واعتسافا كأن ليس للجسد من خطر أو شأن ولا للطبيعة عليك من سلطان !؟

ولا يعصمك من هذه الفتنة البالغة ـ رشدا كانت أو غواية ـ أن تكون أرصن الناس عقلا وأعدل الناس علما بطبيعة منزلتك ونسبة الحيوان إليك وجذوره العميقة فيك .

كلا ! إنك تأبى إلا أن تطمح ببصرك إلى « الذروة » هياما وأن تشتاق إلى نشوة الوجود علا ونهلا ·

ألست ترى ـ لو أنصفت ـ أن سكرك بذاتك وتيهك بفكرك فى لحظاتك الممتازة هذه إن هى فى حقيقتها إلا من فضل الحياة عليك وتأكد نبضها فيك عرامة وجيشانا ·

وما الحياة ؟ كأنى بك قد غررت وعكست الآية فرأيت نفسك لها نبعا أو مستقرا وادعيتها ملكا لك واختصاصا !

هذه « اليقظات الكبر » أليست هى هبة من لدن قوة خارجة عنك سابقة لك تتجاوزك مشرفة عليك متصرفة فيك تدفعك إلى مآربها جبرا وإن تأبيت وتمردت ؟

ما قولك فى الغريزة ··· فى هذه النزعات كالأسلاك الخفية ركبت فيك تركيبا تحركك همزا ووخزا أو وحيا وهجسا فاذا أنت لا حول لك ولا قوة على صد إغرائها والامتناع عن أوامرها ونواهيها وإذا أنت مشكك فى ذاتك وفى حرمتك وسلامة وحدتك ؛ وتتأزم بك الحال وتحتد ، فتزدوج وتتعدد · أمن الجن أنت أم من الانس أو بين ذاك أجل وأفدح أمرا ؟ لقد تضاءلت فى طرفة العين وأضحيت كأنك الدمية من لولب ، صورة مسخا من ذاتك النبيلة الموهومة ·

ويتساءل المرء فى جزع وحرقة ، وقد أزيح القناع عن وجهه الآخر وصورته الخفية :

« أتكون هذه الأشياء المقدسة من حب وجمال ومعرفة وبطولة ··· هذه القيم المثلى التى نعتز بها ونتباهى حيلا ودسائس ، مجرد تعلات وذرائع تنصبها لنا الحياة « فخاخا » فى طريقها التى اختارتها لنا رغما ، محض مشوقات ومغريات كى نزداد بها تعلقا ووثوقا وننهمك فى طاعتها وحبها جنونا فاذا نحن أقرب ما نكون من حتميتها المتمكنة وضرورتها الطاغية حينما نحسب أنفسنا طلقاء أحرارا ! ؟

وتظن ، غرورا ، أنك قد بلغت الغاية وارتفعت وتساميت وامتزت عن غيرك وتفوقت وكنت جوهرا فردا ذاتا لا كالذوات وأدركت أفق إنسانيتك إذ تفانيت فى بر الوالدين وأوسعت الناس حبا وإحسانا وأبدعت من روائع الفن وفتقت من غرائب العلم ألوانا ·

ما أنت ـ بتعاظمك هذا وتعاليك ، وعبقريتك و « إنسانيتك » المزعومة ـ إلا أداة مسخرة لحفظ النوع وسلامته ودوام النسل واستمراره · جزء من

جماعة غفل لا تعلم ولا تملك من أمرها شيئا · بعض من قطيع لا يحصى يراد على التلاقح والتزايد حتما هكذا الى غير غاية · سنة واحدة هي سنة الحياة ذلك الجلاد الجبار الذى لا ينى يلهب القطيع بسياطه ولا رفق ولا هوادة ولا راحة ولا قرار ·

الامومة ··· الابوة ··· الايثار ··· عواطف سامية بزعمنا لكنها فى **جوهرها** أقنعة لغرائز أصلية مبررها الوحيد نزعة البقاء وإرادة الخلود بحيث يكاد ينحصر الفرق بين المرء والبهيمة ــ على صعيد الشعور ــ فى « طول النفس » العاطفى ، أى فى مدى عمر الأحاسيس الناشئة عن الغرائز ، فى هذا « الاجترار » للذات حفاظا ووفاء أو المد فى حدودها وآفاقها حدسا وتشوفا لقوتها وإمكانها ·

ولا يعدو أن يكون ما نسميه رحمة وبرا وشفقة وإحسانا إلا مواقف أنانية (فى صميمها وأصل نشأتها) ، وسائل عملية لدرء البؤس عن أنفسنا (فى صميمها وأصل نشأتها) وسائل عملية لدرء البؤس عن أنفسنا (وبالتالى عن المجتمع) وضرب من الضمان لمصيرنا إبان الضعف والشيخوخة وما قد يطرأ علينا من عوارض السوء ونوائب الزمن ، على ان كل ذلك يتم بعنوان الدفاع عن مصلحة الجماعة وحفظ وحدتها وتوثيق علائقها وأسسها ·

وما تقديس السلف الذى كان ظاهرة شائعة مشتركة بين الأمم فى الزمن القديم ، لو نظرنا إليه من هذه الزاوية إلا طريقة من طرق التعاون أوحت بها الغريزة وأحكم تدبيرها العقل لربط الحاضر بالماضى شدا لكيان المجتمع وضمان السلامة له والدوام بفضل تجربة الشيوخ وحكمتهم ·

وقد يؤكد هذا ما نلاحظه من تناقض بين ظاهرة التقديس هذه وبين تقدم الحضارة وحلول الكتاب ــ وقد أصبح متوفرا ميسورا ــ محل اللسان حتى ليصح القول إن الطباعة آذنت بأفول دولة الشيخوخة وأودت بحرمتها وقضت على هيمنتها وسالف عزها ·

ولك ، بعد ، إن شئت ، أن تتغنى بأنك الذات النيرة مركز الكون ودعامته وأنك الواحد الفرد لا كفء لك ولا نظير وأنك أتيت المعجزات وأذللت المستحيل ، غير ان من خلفك ظلا لك يقفوك متعابثا ساخرا بك فى أوج صلفك وخيلائك ، وإن فيك لصوتا عنيدا يأبى إلا أن يزعزع كيانك ويهدم يقينك جحودا وكفرانا ، شكا وإلحادا ·

البشير المجدوب

مســـرحيـــة :

بقلـــم :
محمد الصالح الجابري

كيف لا احب النهار ؟

- 3 -

* أشخـــاص الــــروايـــة *

عيســى .... صبـايحي بعدار المـراقب
الشـاذلي (شيتـة) .... صبـايحي بـدار المـراقب
مسعــود .... زنجـي سـائق المـراقب
ميشـال .... المـراقب
مرغـريت .... زوجـة المـراقب
التجـاني .... ابن الحـاج أحمـد البوزيـدي
الحـاج البوزيـدي .... شيخ العشيرة ، ومن اعيان البلدة
البشيـر .... أخ الحـاج البوزيـدي
مصبـاح .... مـؤدب الحـى
الأم .... زوجـة الحـاج أحمـد
فـوزية .... زوجـة الهـادي
عبـد العـزيز .... مـوظف بمصلحـة البريـد
أحمـد .... شـاب مثقـف انقطـع عن التعليم
الرجل الأول .... أهـالي السجنـاء
الرجل الثاني ....
الرجل الثالث ....
جندرميـان .... رينـو
آلان

منـــاظـر المســـرحيـة

* * *

الفصل الأول : ويضم مشهدين ، تجرى حوادثهما امـام بنـاية دار المـراقب المدنى ٠

الفصل الثانى : مشاهده خمسة ، تدور حوادثها فى منزل الحاج أحمد البوزيدى٠

الفصل الثالث: تقع حوادثه فى غرفة عبد العـزيز الموظف بمصلحة البـريد ويحتوى على ثلاثة مشاهد ٠

* * *

الـزمـــن : حوادث الرواية تستغرق ثلاثة ايام ٠

وتقع فى الفترة التاريخية ما بين 48 ـ 1947 ٠

* * *

المكـــان : بلدة تونسية ٠

* * *

الاخـــــراج

* * *

اكتست المسرحية احيانا صبغة تجريدية ٠ولكنها غير مستعصية على الاخراج، ففى الامكان المزاوجة فى هذه المسرحية ما بين النمطين الواقعى والتجريدى ، بدون ان يسبب ذلك اى تناقض او غموض ، سواء بالنسبة للنص المقروء ، او النص الممثل ٠

ولقد تركت حرية اختيار الديكور للمخرج مع اعطاء اضواء بسيطة مكملة للنـص ٠

(الفصـل الثـالث) (*)

(المشهـد الاول)

فى ساعة مبكرة قبيل الفجـر ٠ ينقر أحمـد على نافـذة صغيرة فى بيت عبد العزيز ، فيفتح له عبد العزيز الباب ويجتازان سقيفة مظلمة ، بها دكتان من الطين ، مفروشتين بالحصر ٠ يدخلان غرفة صغيرة ، يسكنها عبد العزيز فى منزلهم العتيق ٠

الكتب والصحف مبعثرة ، وبعض اوراق منضدة على المـائدة التى يأكـل عليها ، ويكتب عليها ، والجدران مكسوة بشتى الرسوم التى تمثـل انـواعا مختلفة من احدث سماعات الهاتف ٠ وصور صحارى وجبال مرشقة باعمدة الهاتف ٠ وصور فتيات وقفن فى اوضاع مغـرية ، وهن ممسكات بسماعات ويبسمن فى غنج وتدله ٠ مما يدل على ان ساكن الغرفة يعمل بمصلحة البريد٠

(*) راجع الفكر ـ العدد 9 ـ جوان 1967 ـ السنة 12 ٠

يجلس أحمد على حافة السرير · بينما يعود عبد العزيز الى الاستلقاء على الفراش متظاهرا بمقاومة بقايا ما فى عينيه من نعاس ·

* * *

عبد العـزيز : (مداعبا صديقه) اهلا وسهلا بمن لا ينام · ولا يترك الناس نيامـا ·

أحمـــــد : أو قل بمن يحلم بالمواعيد والصباح الجديد ·

عبد العزيز : أين الجماعة ؟

أحمـــــد : لقد سافروا هذا الصباح · ودعتهم حتى المحطة ·

عبد العـزيز : واعلمتهم بما وقع من اعتقال الهادى ؟ !

أحمـــــد : لم افعل · خشيت ان يتسبب لهم ذلك فى بعض الاضطراب · هذه فكرتى أنا الخاصة · أما التجـانىّ فقد أراد أن نعلمهـم · ولكننى أخفيت · أخفيت عنهـم خيفـة أن يتخيلـوا انفسهـم مطاردين ، فيوقعهم الاضطراب فيما لا يحمد عقباه ، وانت تعلم أن القطارات فى هذه المدة بالذات ، معرضة للرقابة والتفتيش المستمر · من اين لى ان اقول لهم شيئا ؟ ، ونحن لا نعـرف مدى تحملهم ··· مقابـلاتنا معهـم كانت دائمـا فى انطـاق محدود · ضيقة الزمان والظرف ·

عبد العـزيز : كان من الافضل أن يعلموا · هم قبل كل شىء اخواننا · لهم علينا حق الصراحة ·

احمـــــد : ولكننا اتخذنا الاحتياطات اللازمة لحمايتهم · رتبنا معهـم كل شىء وجرت الامور على احسن ما يرام ·

عبد العـزيز : الصناديق والاوراق ···

احمـــــد : والدوسيات ، والمنشورات ، كل شىء اخفينـاه فى شكـائر البصل والثوم ، وصنـاديق الخضـر ، ليلـة بكـاملها ونحن نرتبها · ثم وسقناها باسماء مستعارة ·

عبد العـزيز : كالمرة الفائتة ؟

أحمـــــد : واكثر من هذا أعلمنا على رحال صديقنا فى السكك الحـديدية بأن يتولى مراقبة البضائع· اثناء تحويلها من محطة الى أخرى·

عبد العـزيز : وهل سمع التجانى بالخبر ؟

أحمـــــد : لست ادرى ··

عبد العـزيز : من قابله بالامس ؟

أحمـــــد : قابلته أنا لحظات خاطفة فى الطريق · ولم نكن بمفردنا · فلم أشأ أن أتحدث معه فى مثل هذه الامور ·

عبد العـزيز : يكفى أنهم سافروا· ليكن الله فى عونهم· أولئك رجال حقيقيون يا احمد · تحس من اول لقاء معهم ، وكانك تعرفهم منذ زمن

بعيد ... كان الهادى يسميهم أسود المناجم . حراس كنز تونس تحت الارض ..

أحمـــــد : لكم سألوا عنه . وفى كل مرة كنت اختلق حكاية جديدة . وأحيد بهم عن الموضوع . ما استطعت ان أكذب عليهم . ولا استطعت أن أصارحهم . وبقيت معذبا مقهورا . حتى انهم لاحظوا بعض ما اعترانى من الاضطراب والنكد .

عبد العـزيز : ولو قلنا الحقيقة لما اقتنعوا .

أحمـــــد : بأن امرأته هى التى وشت به . وأن صهره الحاج هو الذى ابلغ هذه الوشاية الى المراقب . كلا . محال ... اسطورة . كيف تتصور ان يصدقك ناس مثل عمال المناجم ، ابدا ، واذا صدقونا عند هذا الحد ، هل تتصور ان يصدقوا باننا نحن الذين دفعنا صديقهم الى السجن ، وهو الذى طلب بان يكون كبش الفداء بمحض اختياره ؟

عبد العـزيز : (فى شبه تأثر) لأنهم لم يعيشوا مطاردات البوليس ، وكوابيس الشبهات الحائمة حولنا .

أحمـــــد : ولا عرفوا معنى التكتيك .

عبد العـزيز : ولن يدركوا مهما شرحت ، وأوضحت المغزى الكامن من وراء قضية الهادى لماذا دفعنا به الى السجن ، او بالاحرى لماذا اراد أن يخرج بقضيتنا من طى التكتم ؟ ولماذا كان هو ولم تكن أنت أو أنا ، أو التجانى ، أو أحدا آخر . هذه مشكلات عويصة الادراك عليهم .

أحمـــــد : وعلى ذكر هذا بالامس ، لمحنا « سعدون » ، ونحن نجتاز سوق الخضرة ، وبأيدينا الاكياس والصناديق .. واستشعرت انه يتعقبنا ، فلم أجرؤ على إعلامهم لئلا يتحرجوا ويتضايقوا ، وبقيت اتردد بين نصب الخضارة ، وأساوم الى ان أوهمته بطريقة لبقة أن الذين معى هم من التجار ، فانصرف بعد نصف ساعة من المطاردة الخفية بينى وبينه ، وهم لا يعلمون عنا شيئا .. وتريدنى ان اعلمهم بقضية الهادى أو غيرها من المسائل ! .

عبد العـزيز : يا أحمد ، من وجهة نظرى الخاصة ، لا بد لنا ان نستلفت انتباههم فى المستقبل ، ونعلمهم مبدأ الشك والحذر فنعطيهم فرصة للفهم ، والاصطدام مع ما يدور حولهم .. فبالتدريج يمكن ان يعوا حاجات صعبة نحن أحوج ما نكون الى ان يشاركونا فى ابداء الرأى فيها ..

أحمـــــد : هذه هى نقطة الخلاف الدائم بينى وبينكما انت والتجانى، ان ما تريانه فى هذا الشأن غير ممكن على الاقل الآن . بدليل أن على قرماش عندما اراد ان يسلك هذا المسلك ، مسلك وعى

جماعته لما يقومون به ، وقع في المأزق ، وانفض الجماعة من حوله ٠٠ بعضهم انقلب ضده تماما وكشف عنه ٠

عبد العزيز : ان اعتمادنا على سلوكهم العاطفي هو استغفال لهم ٠٠٠

أحمد : ولكن العاطفة هي الخطوة الاولى من خطوات الاقتناع ، الانسان يحب الاشياء بقلبه ثم تتسرب الى عقله تدريجيا ، وهم لم يصلوا بعد هذه المرحلة ٠

عبد العزيز : دعني من نقاشاتك التي لا توصلني الى نتيجة ، رجال في صلابة الايمان وجرأة الحقيقة ، لهم من التجارب والخبرات ما يجعل العقل نفسه يؤمن بهم ، تدعي انه يجب قيادتهم بالشكل الذي تقترح ٠ ابدا لا يمكن أن أوافقك ٠

أحمد : توافق أو لا توافق ، لا شأن لي بهذا ٠ الصحيح أين خبأت الرسائل والدوسيات التي أتى بها عبيد من بيت الهادي ؟

عبد العزيز : (يشير الى مكان بالسقف) هي هنالك في تلك البقعة ٠

أحمد : اعتقد ان هذا السقف سيدخل التاريخ في هذا اليوم ، فاذا اصبحت لنا قضية وراء الهادي ، فهو بدون شك المخبأ السعيد الذي ستنطلق منه الحقيقة معلنة ميلادنا على رؤوس الملأ ٠ واذا فشلنا فسيكون القبر ٠٠ والذكرى ٠٠

عبد العزيز : وربما انهار على صاحبه ٠ من قبل الجنود الذين سيحلون ويهدمونه ، بحثا عن الكنز المفقود ٠

أحمد : لن تموت قبل أن نعلن كما كنت تتمنى دائما ، أن لنا قضية ، وان لنا من ورائها رجالا ٠

عبد العزيز : نعم ها هي لنا قضايا ولنا رجال نجتمع من اجلها ومن اجلهم لندبر ونفكر ، أو لم يرتض الهادي أن يغامر في ضباب الشك والارتياب ، حتى لا يلقى علينا البوليس القبض ونحن في مخابئنا كالجرذان ٠

أحمد : كان يقول بشجاعته المعهودة ، بدلا ان يصنع قضيتنا في الظلام ، لماذا لا نصنعها في الشمس وامام الناس ٠٠ وها قد بدأ ، وعلى مرأى من الناس ٠٠

عبد العزيز : واليوم سنحقق نحن الخطوة الثانية ، سنقود المظاهرة ، لنعلن أننا وراء قضية ، ولن تتبدد خطط الهادي ٠

أحمد : ولكن التجاني تأخر ٠ قربت الساعة السادسة الآن ٠

عبد العزيز : قد يكون ثمة ما حال دون وصوله في الوقت المحدد ٠

أحمد : افتح احدى مصاريع النافذة ، ربما ابصر الغرفة اكثر ٠

عبد العزيز : (ينهض من مكانه ويفتح النافذة) ، وماذا أعددت انت ؟

أحمد : حاولت أن اجمع ثلة من الناس ، وشرعت في اتصالات سرية ٠ فما راعني الا وعبيد يدق على الباب ، ويأمرني بانه

موفد من قبل التجاني . وانه تلقى منه الامر ، بعدم تسريب اية اشاعة أو دعاية أو اعلام الناس بالمظاهرة .

عبد العزيز : ولم يعلمك بالغاية من وراء هذه الفكرة .

أحمـــد : ومن اجل هذا بكرت فى المجىء اليك قبل الوقت لأتزود منك بمعلومات اوفى عما جد .

عبد العزيز : (يتمشى فى الغرفة ، يطل من النافذة على الطريق) ، هناك شبح فى البعيد ...

أحمـــد : انظر مرة اخرى وتمل منه ..

عبد العزيز : (ينظر مرة أخرى) قامته هو .. بدون شك ، يحمل شيئا ما فى يده اليمنى ... لقد وضحت قامته . واقترب من المنزل .

أحمـــد : قد يكون فى الامر مفاجأة ، ولا يستبعد ان يحمل معه حتى السلاح ، أليس زميله فى الدراسة ، وصهره ، لا بد ان فوزية دفعته الى ان يأتيها بالهادى .. لم تصبر عن الفراق ..

عبد العزيز : لا تظلم المسكينة !.. هى امرأة شهمة حقيقة . استطاعت ان تلبى رغبة زوجها ، وتسهم معه بجدارة فى التضحية .. شاء القدر ان يكفر الابناء عن الآباء .

أحمـــد : لست ادرى كيف استطاع التجانى ان يخدع الحاج بهذا المهرب فى آخر الليل وبابهم لا يفتح الا مع الضحى .

(يدخل التجانى)

عبد العزيز : انتظرناك على أحر من الجمر .

(المشهد الثانى)

التجـانى : (وهو يتنفس من الاعياء) وهل كنت أقدر على الخروج من (القلعة) قبل هذا الوقت ، والاحمرة تتناهق من كل جانب ، والدجاج يعوعش ، والكباش تتناطح كأنها مظاهرة .

أحمـــد : ومتى ستبدأ هذه المظاهرة ! ؟ ، أرسلت تقول انك لا تريد رجالا ولا نساء ، تريدها مظاهرة صامتة تريد احتجاجا بوذيا ..

التجـانى : أولا ، استطعت ان اخدع الحاج بانى مسافر فى رحلة الى تونس العاصمة ، تستغرق يومين ، وها هى ــ فليزتى ــ .

أحمـــد : ما دخل الحاج وسفرك فى موضوعنا ، المظاهرة ، المظاهرة ماذا تدبرنا لها .

التجـانى : (ببرود وامعان فى التشويق) ثانيا .. ثانيا .. المظاهرة انتظمت ، وانتهى كل شىء .

أحمـــد : أتعنى موكب الاعيان الذى انطلق أمس بقيادة الحاج الى دار المراقب ، أتلك مظاهرة ؟ ؟

عبد العـزيز : دع التجاني في انتشاءته ، ترفرف على وجهه البهجة ، والنصر ، لا بد ان في اعماقه اشياء هامة ٠

التجـــاني : كلمه يا عبد العزيز ، يا من علمك رنين الهاتف ، واصوات الناس التجلد والتحمل ، قل له ان التجاني لا يهزل حين يدفع باعز زملائه الى السجن ، ويغامر بسمعة عائلته وشيب والده ، من اجل ان تصبح لنا قضية ، كلم أحمدنا ٠٠٠

أحمـــد : لا داعي لان يكلمني في هذا ، أعرف كل شيء ٠٠ أنا أتحدث الآن عن المظاهرة التي اتفقنا على ان ننظمها اليوم ردا على استنكار الحاج ، والتعريف بقضيتنا ٠

التجـــاني : هكذا أعرفك ذكيا ، تشيم المخبآت ، اطمئن على المظاهرة ، هي جاهزة ٠ وستتولى قيادتها انت بنفسك ، لا أحد غيرك ٠

أحمـــد : وسيكون عبيد الى جانبي ٠

عبد العـزيز : هو لا يصلح لغير الصياح والتهريج ٠ وهذه فرصته الذهبية٠

التجـــاني : أما أنا فسأظل هنا ، مكبلا في اكذوبة السفر التي اصطنعتها ، وعبد العزيز سيتولى كما اتفقنا قطع خيوط الهاتف ، وشل كل اتصال بين دار المراقب ودوائر الامن ، مدعيا ان المتظاهرين هم الذين فعلوا ذلك ٠
أليس كذلك يا عبد العزيز ؟٠٠

أحمـــد : والآن اين المتظاهرون ؟

التجـــاني : لم يحن الوقت بعد لان يخرجوا ، هم في هذه الفليزة ، سوف يكونون أمامك عند الحاجة ٠

عبد العـزيز : والمراقب وزوجته ، هل اتصلت بهما ؟

التجـــاني : أول أمس ، وفي الوقت المحدد ، الساعة الخامسة بالضبط كنت الى جانبهما في المكتب ٠

عبد العـزيز : وتحدثتما في المشكل ٠

التجـــاني : حاولت ان اطرحه بصيغة القضية ، مبينا لهما ان الهادي ليس شخصا عاديا وانما هو رجل قيادي ، قلت لهما انه كان زميلي في الدراسة ، ورغبت في مصاهرته وان كنت اختلفت في الراى معه ، ولكن هذا يمنعني ان اصارحكم كما عودني والدي بايمانه بما يقوم به ٠

أحمـــد : وطبعا ، ابعدت التهمة عن نفسك ، وجئتنا بخرافة مظاهرة في فليزة ٠

التجـــانى : بل تلقيت منهما الشكـر ايضا على اخلاصى ، حتى فوزيـة احسست انهما يحبانها ويكنـان لها الاحتـرام أرأيتمـا كيف تطور المشكل ؟ وكيف اتجه ؟

عبد العـزيز : فى رأيـى أن هـذا سيسـاعدنا أكثـر عن العمـل والتنظيـم السرى ٠

التجـــانى : حتى الرقم الذى كتبته فى تلك البطاقة الصغيرة التى وضعتها مع باقة النوار 5070 رقم بطـاقة الهـادى الحـزبية ، وعـدد انخراطه ، لمست انهما لم يتفطنا اليه ٠

عبد العـزيز : ودخلت قضيتنا « فيلتهم » من غير أن يعلموا ٠

أحمـــد : وستدق عليهم اليوم ابواب الحديد فى مظاهرة صاخبة ٠

التجـــانى : اوصيك خيرا يا أحمد بمارغريت ٠

أحمـــد : لن أقتلها ٠

التجـــانى : تتحدث بكل هذه الجرأة ، أنت ذاهب لقتل الناس ، نحن لنـا قضية عادلة لا تستوجب سفك الدماء ٠

عبد العـزيز : الا اذا اضطرنا الموقف ٠

أحمـــد : دعونى ولو مرة واحدة ، افعل شيئا ، اطعن ، اغرز موسى ، اطلق النار ، مظاهرة بلا دماء ، بمثابة احتجاج نسائى ٠

عبد العـزيز : أرأيت ما اصعبه هذا الأحمد ؟

التجـــانى : سيثأر من مارغريت المسكينة التى يحبها كل الناس ٠

أحمـــد : والتى لا تحب أحدا من النـاس حتى التـراب الذى يمشـون عليه ٠

(نقرات سريعة على باب غرفة عبد العزيز يطفئون الضوء ، ويختبئون فى الانحاء) ٠

عبد العـزيز : من ؟

مسعـــودة : قم يا ولدى ، أطاروا النوم من جفوننا ، كسروا البيت ٠

عبد العـزيز : أمى ماذا وقع ؟٠

مسعـــودة : مثل الليلة السابقة ، هجمـوا على الدار ، عفسـوا ما فيها ، وقلبوا رأسها على عقب ٠

عبد العـزيز : من هم يا أمى ؟ من هم ؟

مسعـــودة : العتـروس والمعـزات ، أبوك توضأ ٠٠ وترك باب الخربة مفتوحا ٠ فخرجوا منه ٠٠ فعلوا بنا ما فعلوا ٠ تعال ٠٠ قـم يا بنى ٠٠

عبد العـزيز : سوف آتى بسرعة يا أمى ٠٠
(يخـرج عبد العـزيز ويبقى فى الغـرفة أحمـد والتجـانى بمفردهما) ٠

أحمـــــد : سافروا ورتبنا أمورهم على أحسن ما يرام ٠

التجـــانى : افضل من أن يحضروا المعمعة ٠٠ وربما اشتبه فى امـرهم ، وسيقوا الى البحث وهم لا يعرفون غيرنا فى البلدة ٠

أحمــــد : المظاهرة التى تتحدث عنها (فى فليزتك) ؟ ٠

التجـــانى : والتى ستؤكد قضيتنا ، وتجعل المراقب وجماعته يجزمون بان الهادى له انصاره ، وله قضيـة ها هى موجـودة ٠ ولقد وقع ذلك فى كل البلاد من الشمال الى الجنوب ٠ فهل يعقل ان نبقى معزولين هنا فى ظلام البيوتـات والغـرف الخـانقة ٠ نبيـع البطاقات فى السر ٠

أحمــــد : كنت دائما أحاول الوصول بذهنى الى مثل هذه النتائج ٠

التجـــانى : وعندما وجدنا الهادى يتطوع لان يدخل السجن ويعلن ان هناك قضية نضال وحرية لهذه البلدة ٠ الا يمكن ان نواصل الطريق معـه ؟ ٠

أحمــــد : نواصله ٠ نعم نواصله ، وبنفس الحمـاس والحـدة ٠ اعطنى مظاهرة فقط ٠٠ اعطنى رجالا فقط ٠٠
(يدخل عبد العزيز عليهما وهو فى حالة اضطراب) ٠

عبد العـزيز : الساعة الآن السابعة والنصف صباحا ٠ السيد الوالد دخل من المسجد ٠ هو مؤشر الوقت عندى وعبيبد لم يأت الى الآن ٠

التجـــانى : لا حاجة لنا به ٠٠

أحمــــد : ربما كنا نحتاجه لجمع الناس فقط ٠ فها نحن فى انتظار حل التجانى للمشكل ٠

عبد العـزيز : وهو من غير شك يعلم بكل ما نعلم ٠٠

التجـــانى : ومتى كانت تهمه اعمالنا ٠٠ لولا بعض ما نعطيه من الدراهم ، يشترى به شجائر او خمرا ٠٠

عبد العـزيز : افادنا على كل حال ٠٠

التجـــاني : بقدر ما استفاد منا · بقدر ما كنا نمد ايدينا الى جيوبنا ·

عبد العـزيز : اذا حضر الآن فلن نستغنى عنه ، واذا لم يحضر قلت له ان عبيد وحده يستطيع ان يقود المظاهرة بيسر ··

أحمـــــد : هات هذه المظاهرة ·· هاتها ·· اين هى ؟

التجـــاني : فى الساعة الثامنة والنصف بالضبط ، ستلبس قشابية ، وتتنكر فى اثواب قذرة متسخة ، وتتجه من هنا وحدك قفة ، مهترئة الى رحبة الغوث سيدى عبد الله وهنا ستجد جمعا كبيرا من النساء والرجال والاطفال والشيوخ ·

أحمـــــد : جمعتهم انت ··

التجـــاني : كلا ·· هم سيأتون بطبيعتهم لاخذ دقيق الصدقة الذى اهداه المراقب بالامس للعشيرة عندما ذهب الحاج ، والاعيان للاعتذار له ·· ادخل بينهم ، وبث الاشاعة فى ان الدقيق سيوزع امام دار المراقب ، ولا تنتظر ان يتبعك جميعهم ، ولا ان يؤيدوا أو يتشاوروا بعضهم بل تقدم انت ومن معك من الجماعة والبقية سيتبعونك بدون شك ، ويجرى الاطفال والشيوخ حاول ان تجرى انت فى المقدمة ، ثم عند اقترابك من دار المراقب اشرع فى الهتاف ، سيقلدونك من حيث لا يشعرون ·

عبد العـزيز : وسيفرحون بالصياح والضجيج ··

أحمـــــد : وفى النهاية ؟

التجـــاني : حتما سيفرقونكم بالقوة ، ويعتقلون البعض ، وتسرى فى البلاد اشاعة تنظيم مظاهرة ، ويسمع الهادى فى زنزانته اصوات الناس ، ويشعر بانه قوى ، اقوى من الجدران ·

عبد العـزيز : طريقة سحرية ·

أحمـــــد : وفنية للغاية ، سأطبق فيها كل ما قرات من مغامرات لوبين وهولمز وقصص الجن ·

التجـــاني : الآن نستطيع ان ننطلق ·

عبد العـزيز : وانا ايضا ·· لقد حان وقت العمل ·· الى اللقاء ·

(يخرجـان)

(المشهـد الثـالث)

عبد العـزيز : (يتحدث مع نفسه وهو يتمشى فى ارجاء الغـرفة) هـذا الطريق سيغص بعد حين بالخطى · وسيندفع فيه النـاس

راكبين مهرولين ٠٠ وستدوى أرجاؤها بالهتاف الى الحرية ٠ الشمس فى هذا النهار ستقول لقد شاهدتهم يوما مسرعين ولثمت جباههم ، وقبلت مواطىء اقدامهم ، واعمدة الهاتف (تشير الى صورة فى الجدار) التى تقف هنا صامتة فى احدى الصحارى ، وهناك شامخة فى نهاية الطريق ستهزها الاصوات وتنتشى برجعها ، لتعزف على أسلاكها نشيدنا ، وتحمله الى اقصى المعمورة ، الى عوالم الشمس ، وعوالم الجليد ، واذن الهادى ستلتقط كل هذه الاصداء ، فيزداد ايمانا وباسا ٠ متى سيمرون من هنا ، واتملى منهم،متى سيمرون تحت النافذة٠ (يهز الباب بقوة يقرع ، ويقتحم الغرفة جندرميان ومعهم عيسى) ٠

عيســـــى : ها هو التجانى ٠٠ ها هو ٠٠

رونـــــى : التجانى ٠٠ كنت تعتقد انك ستفلت من القبضة ٠٠

التجـــانى : قبضة من ؟

رونـــــى : قبضة السلطة ٠٠ العدالة التى تسعى الى تخريبها ٠٠

التجـــانى : انكم مخطئون فى ٠٠

آ لا ن : تعنى فى القبض عليك وانت مسافر فى العاصمة ٠٠

رونـــــى : اين الدوسيات والبطاقات ٠٠

التجـــانى : ليس لدى اى شىء منها ٠٠

آ لا ن : فتش ٠٠ اين قال عبيد انه وضعها ٠٠ اين قال ٠٠ فى مكان ما بالسقف ٠٠ (يخرج خارطة من جيبه ويقارن بينها وبين السقف) هناك ٠٠ فتش ٠٠ قد يكون هناك ٠٠ هكذا قال عبيد ٠٠ وها هو لم يكذب عن التجانى ٠٠

رونـــــى : (يعتلى المائدة ، ويرفع قطعة من اللوح تحتها الاوراق يدسها فى محفظته الجلدية) هى نفسها كما وصفها تماما ٠٠

آ لا ن : والآن فلنذهب لقد انتهى الامر ٠

التجـــانى : (وهو يسير بينهما) لم ينته الامر ، اليوم ، اصبحت قضيتنا اكثر عدلا ووضوحا ٠٠ لقد خرجت الى النور ٠

(ســتـــــار)

محمد الصالح الجابرى

واحدة .. بواحدة

شعر : عبد الرحمان اللموشي

قرات قصيدة بعنوان « خيبة »
نشرت بالفكر العدد : 3 - 1966
فلما انتهيت منها وجدتني اقول :

يد المرء تحصد ما تبذر ولكن قلبك لا يبصر
حصدت الذى قد زرعت جحودا تقولين : أرضك لا تثمر
ألا إن إنتاجها أوفر
غدرتك قصدا وذلك دين برد الديون أنا أفخر
أنا لست أمنح حبى لقلب على الغدر شب فلا يصبر
لذا لا أدين ولا أعذر
علام التأسف !.. لا لم يفتنا من العمر فصل الهوى الأخضر
اذا الحب عندك (واحة أمن) فانى من الأمن لا أنفر
ولكنه المهمه الأقفر
غبى أنا ان رجوت وفاء من امراة بالوفا تكفر
كفى .. لست قيسا ولا أنت ليلى نسيت هواك فما أذكر
لأنى امرؤ بالنسا يسخر

عبد الرحمان اللموشي

الفن بين الصمم والببغائية

بقلم : الحبيب إبـراهـم

— 7 —

أزمـة الفـــــن

وقد تحدث الناس — وتحلت ضوصاؤهم — عما دعوت بأزمة الانتاج الفكرى بتونس ،، . وكان ذلك — خاصة — اثناء ندوة انعقدت بسوسة فى **7 مارس 1964** على منبر اللجنة الثقافية الجهوية وشارك فيها جمع غفير من اساتذة الجهة .

وليس لى هنا أن أتعرض لما دار فيها من نقاش فقد أوردته جريدة «الصباح» فى اعدادها المؤرخة فى 19 و 26 مـارس و 2 أفـريل 1964 • لكنى سأكتفى بالتساؤل عن هذه « الازمة » التى احتاروا فى أمر تفسيرها •

الأزمة تعنى الاختناق والانحباس • تعنى التوقف •

فهل توقف إنتاجنا بعد أن كان يسير ؟ هل تقلص ظله بعد امتداد ؟ هل انكمش بعد انضواء ؟

كلا • لم يكن قط سائرا ولا ممتدا ولا منضويا •

كان علينا أن نتحدث عن « عسر الميلاد الأدبى بتونس » •

أما سبب هذا العسر فهو متصل بموضوع هذا الحـديث بالـذات : هو ما أدعوه بـ « توريد المذاهب » • وهو نفسه المتسبب فى اصطناع الأزمات •

* * *

الرحى القلمية والكلامية فى تونس تدور • هذا ما لا شك فيه • لكنها تدور على فراغ • الكيان الأدبى التونسى ليس مشلولا ولا عاطلا • هو يسير لكن ليدوس بعضه بعضا • والنتيجة هى أننا نسمع من رحانا جعجعـة ولا نـرى طحنـا •

ذلك ان المذاهب المستوردة شغلت الاقلام والحناجر فى غير شغل نافـع • أحرقت العقول والقلوب لغير إضاءة ولغيـر فـن • جنـدت عسكـر الأدبـاء والمتادبيين لمحاربة أعداء للمجتمـع التـونسى وهميين • وقد كان عليهم أن يحاربوا أعداءه الحقيقيين فيبدأوا فى صمت بما فى أنفسهـم حتى إذا قالـوا قالوا خيرا •

لكأننا اعتدنا الحروب حتى إذا حل السلام واستتب الأمان خلقنا من الوهم العريض عدوا رحنا نقارعه السيف ـ على غرار دون كيشوت ـ مقارعة لا تنتهي ٠ وهي لن تنتهي إلا بشفائنا من الوهم أو بانتهائنا ٠

نحن ـ عرب اليوم ـ مصابون بأوبئة النظريات والمذاهب (18) هي نظريات ومذاهب أجنبية مستوردة (19) ٠

قد يتذرع البعض بتصاغر الارض في هذا العصر وتطاول الأرجل البشرية وأن الارض أرض الانسان إطلاقا ٠

---

(18) وهذا أحد مظاهرها المزرية :
قال الشاعر السوداني محمد الفيتوري : « إن مذهب الفن للفن على الرغم من استمرار بعض العناصر الشعرية في اعتناق هذا المذهب وفي التبشير به والدعوة إليه ليس أكثر من مذهب متخلف متهافت » ٠
ثم قال ـ لما سئل عن إنتاجه ـ إنه كتب ديوانين أحدهما « ملتـزم » تحت عنوان « أغاني افريقيا » والآخر تحت عنوان « عاشق من افريقيا » يضم قصائد وجدانية تعبر عن مشاعره « كانسان لديه مشاكله وحوادث حياته الخاصة » ٠
أفهم من هذا أمرين :
أ ـ أن الملتزم لا يعشق ٠ وهو ليس إنسانا « لديه مشاكله وحوادث حياته اليومية الخاصة ! ! » أو أنه ملتزم مرة لا ملتزم أخرى ٠ أي أنه ذو وجهين ٠
ب ـ أن ديوانه الثاني « متخلف متهافت » بما أنه غير ملتزم وأنه معتنق لمذهب الفن للفن ! !
إن كان هذا حكمه على فنه فماذا يكون حكم التاريخ ؟ ! عاش ـ على كل حال ـ من عرف قدره ٠ وليس أروع ـ في هذا الصدد ـ من قول توفيق الحكيم : « إن الأديب لا يموت مقتولا بل يموت منتحرا » ٠
سكين شاعر الوجهين ! ما ألجأه إلى هذا التناقض وهو يؤمن بأن كلا الديوانين شعر أي فن ؟ ليته ترك المذاهب والتزم الشعر ٠
ثم هل آمن الأديب التونسي محمد مزالي بخطر التفريق بين الفنان الفنان والفنان المواطن ؟ ألا يرى هنا مشهدا من مشاهد المهزلة المبكية ؟ أليس من الأفضل أن تكون للفنان قدم مواطن ويكون للمواطن قلب فنان ؟ أليس من الأفضل للجميع أن يثبت المواطن قدم الفنان ويغذى الفنان قلب المواطن ؟
(انظر : مجلة « الاذاعة » ـ تونس ـ 2 مارس 1964) ٠

(19) وهذا ما أشار إليه الأديب المغربي محمد صباغ ٠
الأدب العربي المعاصر ـ ص 261 ٠
منشورات مجلة « أضواء » الباريسية ـ 1962 ٠

نعم • لكنا لم نبن الانسان بعد فى ارضنا هذه • نحن بصدد بنائـــه اقتصاديا وعلميا أى بناء جسده • لكننا لم نشرع بعد فى بناء روحه • أخشى أن نبنى أجسام البغال •

* * *

صرخ دعاة الالتزام والواقعية أن « التصقوا بالارض تنفعوا ! »

فصرخ دعاة التحرر والمثالية أن « التصقوا بالسماء ترتفعوا ! »

واستجاب البعض للدعوة الاولى فكانت منهم ببغـاوات وكانت منهم جثث وديدان صمت آذانها دون نداءات السماء •

واستجاب البعض للدعوة الثـانية فكانت منهم أرواح مـوتى وكانت منهم فراشات صمت آذانها دون نداءات الارض •

ولم يبق على الارض التونسية وتحت سمائها من الفنانين إلا قليلون •

وقد آن ان نزوج بين دودة الالتزام وفراشة التحرر لننتج الحرير • وآن للأرواح أن تسكن الجثث ليكون النشور •

* * *

تـوريـــد الأوبئـــة

نعم ـ لقد شرعنا ـ بعد ـ نبنى • لكن البنـاء يقتضى البـدء من الأسس وهذا ما لسنا نفعله فى الميدان الفنى •

فالمذاهب مواقف وقفتها فنون أجنبية مزدهرة • هى سقوف • هى ليست مواقف فننا الذى لم يقف بعد • فأين الأسس وأين الجدران ؟

المذاهب الفنية تنجم عن إنتاج فرض نفسه • هى تأتى بعد الانتاج • هى نعت يضبط حصيلة فن موجود (20) •

هذه المدرسية أو الكلاسيكية أو الكلاسية وهذه الرومنتيكية أو الرومنطيقية أو الرومنسية وهذه الرمزية والبرناسية والواقعية وما فوقها وهذه المعقولية واللامعقولية والهدفية والعبثية والوجـودية والمثـالية والتكعيب والتجـريد والواقعية الاشتراكية والواقعية الالتزامية الخ ••• كلها أوبئة شلت الاذهان

---

(20) Stephan Morawski: Les péripeties de la théorie du réalisme Socialiste
Revue «Diogéne» n° - 36 - Paris - oct - nov - dec. 1961

وقيدت أجنحة الخلق (21) وأصابت الهمم بالقناعة حتى كأن ليس فى الامكان ـ لدينا ـ أبدع مما كان لدى القوم الآخرين ٠

وردد لسان حالنا : بما أن الانسانية واحدة يكفى أن يصنع الفرنسى والانكليزى فنأكل ! وغدا الخلق الفنى ـ لدينا ـ فرض كفاية إن قام به البعض سقط عن الباقين ٠ ونسينا أن أحدا ـ لدى التاريخ ـ لا يغنى عن أحد !

وإذا كانت سياستنا قد أبت السير على آثار الأقدام ملتزمة سبيل الانسان منحازة إلى عدم الانحياز إلى أى مذهب سياسى أجنبى فقد وقع الأدباء التونسيون فى الفخ ٠ فكان نصيبهم نصيب الوعاء الطفلى المرتطم بالوعاء الحديدى ٠ وإذا بعضهم لبعض عدو وإذا بالسباب يفتح عهد « أيام الأدب » على غرارِ الحروب القبلية المعروفة بـ « أيام العرب » ٠

وهذه نتف من السباب الجارى بين سفراء المذاهب الاجنبية لدينا :

« دعاة الانفصال الذين لا يؤمنون بعقيدة ـ الضياع والتلاشى ـ الفلتاء ـ تزكية الاقزام ـ المملوءة حقدا ٠ كفر بالمبادىء الجوهرية وبالواقع الاشتراكى٠ مستوى سخيف ٠٠٠ (22)

دعاة الهزيمة ـ قوى الشر ـ اخلاقيتها الرذيلة القذرة ـ دنس الأبالسة ـ خزى الشياطين ـ المهزومون ـ انتحرت على حدود ذواتهم القيم والشعارات ـ لا رجولة ـ لا كرامة ـ وجوه الزيف والماكياج ـ أفاعى ـ سمومهم ـ أخبث طريقة ـ هذا البيدق ـ طابور الهزيمة ـ عقلية رجعية ـ دموع التماسيح ٠٠٠ » (23)

---

(21) وقد آمن اللغمانى بذلك وعبر عنه٠لكن ايمانه الصالح لم يتحول دائما الى عملا قد لا يدل على انه يتجاوز المذاهب ٠ اليس يشترط فى القصة ان عملا لا يدل على أنه يتجاوز المذاهب ٠ أليس يشترط فى القصة أن تخضع لقانون القدماء (العرض والعقدة والحل) ؟ ليته عمل بما آمن فأفسح للأقلام أن تجرب وتتفنن عساها تنتج فنا ٠ نعم ٠ لا بد للقصة ـ كغيرها ـ أن تخضع لأصول بديهية ٠ لكن القانون المشار إليه ليس من الأصول البديهية . ولنتذكر القوانين المسرحية الثلاثة ومصيرها ...

(22) عمار الزغلامى : حول خواطر فى أدب العصر ٠
جريدة « الصباح » ـ تونس ـ 9 أفريل 1964 ٠

(23) على شلفوح : دعاة الهزيمة ٠
جريدة « الصباح » ـ تونس ـ 16 أفريل 1964 ٠

لقد سبق أن عبرت عن رأيي في شأن زدانوف وقلت إنه كان يستعمل نعوت السباب عوضا عن حجج الاقناع (24) ٠

ولعل هذا السباب مترجم عن ذاك٠ لأني أربأ بالتونسي أن يقول غير الخير٠

لكنه لا يسعني أن أستغشي ثيابي أو أهز كتفي (25) ٠ أخشى أن يتمخض الفن التونسي عن وليد مشوه أو ميت ٠

* * *

غاب عن هؤلاء الذين فرقوا فنهم شيعا ـ كما فرق أسلافهم دينهم شيعا ـ أن المذهب الفني سمة خيل للنقاد ان إنتاجا فنيا يتسم بها (26) ٠ وغاب عنهم أن المفاضلة بين المذاهب مفاضلة بين أنواع من الانتاج ٠

فأين إنتاجنا الأدبي كله من إنتاج مدرسة واحدة من المدارس الاجنبية التي استوردنا أسماءها ؟

ليس يجديك نفعا أن تدعو كوخك قصرا ٠ كما ليس يجديك أن يكون ثوبك مفصلا حسب أحدث أزياء ديور Dior إن كان نسيج ثوبك من خيوط العنكبوت !

---

(24) وذكرت اعتماد البرافدا على مسخ النقاش الفكري إلى نقاش سياسي قصد الوشاية والتوريط ٠ ويبدو أن القوم ـ هنا ـ نسوا أن البلاد غير البلاد وأن العباد غير العباد !

(25) قال سارتر : « لكل كلام صدى وكذلك الصمت » وقال بلسان «هنريك» رجل الدين المرتد متحدثا عن الفقراء من مواطنيه : « كنت أحبهم ٠٠٠ لكني كنت أكذب عليهم ٠ كنت أكذب عليهم بصمتي ٠ كنت أصمت ٠ كنت أصمت » ٠

J. P, Sartre = Situations II P. 12 - Gallimard - Paris - 1948
= Le Diable et la bon Dieu - Acte I - Scène I Gallimard Paris 1951

(26) قسم موراوسكي Morawski العلاقات بين الفن والنظرية الفنية إلى ثلاثة أنواع :

أ ـ نظرية تضبط الحصيلة ٠

ب ـ نظرية مواكبة للانتاج صادرة عن صاحب الخلق الفني ٠

ج ـ نظرية آمرة أو واعظة تسبق الخلق الفني ٠

وأشاركه في نعت الأخيرة بالانحراف والاجرام ٠

ReVue «Diogène» n° 36 P. 120 - oct - nov - dec - 1961 - Paris

فهات ما لديك من فن • كل ما لديك • لا تنس شجرة الفن ومقتضياتها وهيا • إن دوحة الفن باسقة ممتده ترحب بكل العصافير • لكنها ترفض الطيور الجوارح (27) •

* * *

النوع الفنى يفرض نفسه بما فيه لا بما يقال عنه • يفرض نفسه على المجتمع إن كان مؤثرا فيه ويفرضها على التاريخ إن كان يحمل فيه عناصر الخلود • فلا الدفاع يؤصله أو يخلده ولا الثلب ينفر عنه الناس ويغلق فى وجهه سجل التاريخ •

لا اتباع المذهب الفنى يحول القبح إلى جمال ولا شذوذ الجمال الفنى عن المذهب يحوله إلى قبح •

فقد رأينا أشياء كثيرة فاشلة أريد لها ــ عبثا ــ أن تكون فنا بانتسابها إلى مدرسة معينة •

ورأينا فنا رائعا فرض نفسه رغم شذوذه عن المذاهب المتبعة إلى درجة أنه اتخذ شعارا جديدا لمذهب جديد (28) •

ثم إن المذهب كالنظارات يبرز الحقائق حسبما يفرضه هو لا حسبما يفرضه الواقع • حتى إذا كان اسمه الواقعية • فهى حقائق المذهب لا الحقائق • والقيد الذى نقيد به أو نتقيد به لا يعدو كونه قيدا حتى إذا كان من ذهب (29) •

* * *

ثم أين هو هذا الانتاج التونسى الحديث الذى يمكن أن نتحدث فى شأنه عن تعلق المجتمع أو اهتمام التاريخ ؟

---

(27) الغريب هو أننا لم نر إنتاجا فنيا أو حتى شبه فنى من دعاة « الواقعية الالتزامية » ! ! فأين التزامهم ؟ ألا تنتج حدائقهم سوى الشوك ؟

(28) « ليس شرطا أن يكون كل تاليف قيم واقعيا اشتراكيا وليس شرطا أن يكون كل تاليف اشتراكى قيما » •
Stephan Morawski - Revue «Diogène» n° 36 - P. 142.
oct - nov dec - 1961 - Paris

(29) قال جبران : « أفضل النبع الحى وإن يكن ماؤه وسخا على آثار قدم ملينة باكسير سماوى » •
وقال عن شكسبير : « حس شكسبير بالحياة كل حسه هو بها لا مستجلبا من الخارج » •
مجلة « حوار » ــ عدد 23 ــ أوت 1966 ــ بيروت ــ ص 15 و 8 •

هذا الانتاج – حتى إذا أجهدنا أنفسنا في البحث عنه – لا وجود له أو هو لا يرى إلا بالمجهر ٠

وإذا كان هذا شأننا وشأن إنتاجنا فكيف نقيسه بمقاييس عملاقة كهذه المذاهب المستوردة ؟

أليس من الجنون أن نزن العقيق بالطن فنقول : إن لدينا منه أحد اجزاء طن مقسوم إلى مليون جزء ؟

أليس من الافضل والأبسط و « الواقعي » أن نقول إن لدينا منه قراما ؟

أين هو هذا الادب الرومنسي التونسي المتراكم الذي نضيق به ونسبه ؟
وأين هو هذا الادب الواقعي الاشتراكي الرائع الذي نحمله على الاكتاف ؟
أهذه القصيصات القصيرة الصغيرة وهذه القصائد الشحيحة الفقيرة التي كتبتها أقلامنا ومجتها نفوسنا الكليلة بعد أن أنشفها العمل اليومي ؟
ارفقوا يا قوم بهذا الوليد ! كفوا عن نفخ ضفادعنا قبل أن تنفجر !

ألا ما احوجنا الى قرار حكومي يلزم الفنانين بالتزام عدم الانحياز والتعايش السلمي ٠

* * *

وبعد

فالفن عصير ٠

ذلك أنه نتاج قوتين – عدوتين حميمتين – وسعتهما عبقرية الفنان ٠ قوة أفقية تحوش وقوة عامودية تعوض ٠ قوة الموضوع وقوة الذات ٠ وهما القوتان اللتان يتألف منهما الملزم الذي ينبثق من بين فكيه الفن ٠

لا بد اذن من هذا اللقاء بشرط ان لا يكون انطباقا يحول الفن الى عجين كريه ٠

أما إذا شئنا أن نكبس الملزم من الخارج على سبيل **الالزام** وإذا شئنا أن نكبسه من الداخل على سبيل **لزوم ما لا يلزم** فلنتوقع مواليد طويلة عريضة لكن مبلطحة هزيلة كأغانينا الحديثة لا يبقى عليها الدهر إلا بقدر ما تبقى الرياح على أوراق الخريف ٠

أما إذا شئنا أن نكبس الملزم من الخارج على سبيل التجنيد والتعبئة وإذا شيئا ان نكبسه من الداخل على سبيل « انكار الذات » والتطوع – ولو اخلصت النية – فلنطرح عنا الفن ومسوحه ولنستعض عن الفنون بفنون الجنون ٠

– انتهى –

الحبيب إبراهم

دمية المرمر

شعر : محمد الغزى

وأين هذا من « المخدر »
الذى يجرى من عينيك
عينيك اللتين هما مرآتا شقائى
« **بودلير** »

عيناك عالمان من جوهر — والشعر شلال من العنبر
ونحن عبر الليل أسطورة — فى خاطر النجوم لم تخطر
واربد فى فستانك الصدر وامتدت أصابعى الى المئزر
فانزلق الحرير فى لوعة — وأطرق النهد ولم ينفر
وانهرت فوق الارض مبهورة — كدمية صيغت من المرمر
الصدر منك حفنتا أنجم — والشفتان قطعتا سكر
وانسبت عبر مزرعات الشذى — من كوثر ثر الى كوثر
أغترف الأطياب فى لهفة — وحشية من ألف نبع ثرى

* * *

جئتك يا حبيبتى بعدما .. — فررت من عالمنا المنكر
أتيت والجراح تجتاحنى — لبسم حلو ونهد جرى
لأهرق الشعر لدى حبنا — فاننى لولاك لم أشعر
قد جئت عينيك حزينا لكى — أغوص فى ليلهما الأخضر
لشعرك الحبيب يا دميتى — كى أرتمى فى ليله الأسمر

محمد الغزى

اسلام السير في الضياء

قصة بقلم : هنـد عـزوز

هذه قصة من تحرير السيدة هند عزوز .

يمتاز أدب القصة عن غيره من الفنون التعبيرية بأنه لا يقنع بقيد الاوابد من الاشجان العابرة التى بدونها لا تكون الحياة حياة . بل يمتاز بناحية ايجابية ، هو الكشف عن دواخل النفس والدلالة عن مشاكلها والتنبيه ...

فمن قرأ قصة عاش تجربة مجانا ، دون ان يترك من ريشه. فليتدبرها فيما يصلحه « فليس الذين يعلمون كالذين لا يعلمون » .

ولا يصح هذا التعريف الا اذا كان هذا الادب مؤسسا على الصدق ، فلا الرمزية ولا العبثية ولا التوجيهية... الصدق.

وقديما قالت العرب :

«وان ابلغ بيت انت قائله بيت يقال اذا انشدته صدق»

فهو اساس كل بناء جدى .

وهذا ما نلمسه فى انتاج السيدة هند عزوز .

فالى تاريخ ليس بالبعيد ، لبث الادب وقفا على الجنس الخشن . قال ادمون روستان على لسان سيرانو : « ايتها الحسان الهمننا الشعر و لاتتدخلن فيه » وما زال القصاصون من الرجال ، وحدهم بطبيعتهم الثرثارة ، يشرحون دواخلهم. واذا ما خامر احدهم ان يدرس دواخل الجنس المقابل فانه حتما كالواصف دواخل بيت مقفل . ومهما تكن كهانته فلا تعدو انها ضرب من التخمين والقارئات من الجنس المقابل يبتسمن من اخطائهم وغرورهم . فها صوت من داخل البيت .

الكواتب من النساء قلة حتى فى بلاد الكثرة ، فما بالك ببلدان القلة . ولذا نبارك هذا القلم ونرجو له المضى فى

أصالته وعدم الانقياد للتيارات الدخيلة ونبشره بمستقبل خصب .

فقد كنا قرأنا للسيدة هند عزوز قصة أخرى (1) كانت من الصدق والقوة في مستوى الاسطورة .

قصة قرينين ظنا انه اتفق لهما ما لم يتفق لغيرهما من البشر : تجانس تام مطبق . كل معجب بصاحبه ، يحبه ، يعبده ، لكن شيب صفوهما باختلاف تافه ، لامعنى له .

كان احدهما مغرما بالخيل والآخر بالادب .

ويشاء الطبع الذي يحمل كالثمرة ، جرثومة فساده في ذاته ، ان يتحدى غيره من البشر ، ويبلغ دونهم الكمال . فيرفع باحدهما ، الزوجة ، مثلا ، ان تصل اليه . فما بينها وبين الكمال الا هذه الهواية التافهة ، فلا اقل من التضحية بها واعتناق هواية صاحبها .

ونبذت فعلا ، ما كانت فيه من ادب واهتمت بعتاق الخيل . ونجحت . نجحت الى ابعد حد . اخذت بهذه الهواية حتى لم تعد ترضى بغيرها بديلا .

واذا اليوم الموعود ، فتفاتح قرينها بحديث هوايته .

واذا سنة الله في خلقه تقضي ان لا كمال. وانهما كغيرهما من البشر .

فصاحبها ، ايضا ، سعى نفس السعي ، فنبذ هوايته واعتنق هوايتها . ولم يعد يرضى بغيرها بديلا .

وهكذا استمر خلافهما كما كان . غير ان كلا منهما تزحلق الى قطب الآخر ... دون ان يلتقيا .

هذا الصدق في التحليل وهذه الطرافة في الوسائل تجد مثلهما في القصة التالية :

البشير خريف

---

(1) « تذوب المبادىء في الحب » ــ في مجلة الاذاعة .

تفرق الجمع وخرج المدعوون الذين لم يكونوا الا قلة تمثل اخص اقرباء الخطيبين ، وبقيت دره على انفراد مع رشاد فى مكان الاحتفال من المنزل ريثما تشرف امها على اعداد مائدة العشاء التى ستضم خطيبها لاول مرة ٠

وانتظرت من رشاد اثناء ذلك ان يجاذبها اطراف الحديث او ان يداعبها بالفاظ معسولة وكلمات عاطفية تزخر بالود والامل السعيد ، كلمات تتناسب والظرف الذى جمع بينهما ويتبادلان النظرات المعبرة والابتسامات المرحة كما يحدث عادة بين الخطيبين فى مثل هذه الدقائق الاولى من حياتهما الجديدة٠

ولكن شيئا من هذا لم يقع بل اتجه رشاد بنظراته الشاردة الى الارض وغاب فى تفكير طويل ، الشيء الذى احرج وجودها بالقرب منه ، واخذت تبحث عن وسيلة للانسحاب من المكان لتافقها من سهومه وحيرته ، ولثقل الجو الذى ساد مجلسهما فحول انسه الى ضباب مقلق مخيف ٠

ولكنها تريثت قليلا وجنحت الى الصمت ثم ضاعت فى تعليل هذه الاطراقة الساهمة غير المعهودة فى مثل هذه المواقف والظروف ٠

فعادت اليها حكايات صديقاتها ووصف بعضهن هذه اللحظات باعذب فترات العمر ، او عمر الزواج على الاقل ٠ وترامى فى سمع ذاكرتها صوت نجوى وهى ترد عليها اول جملة داعبت اذنيها من قبل خطيبها بعد اتمام الخطبة ، فى اول فرصة جمعتهما منفردين ٠

« نجوى لم اصدق انك اصبحت لى ، لم اصدق اننى سعيد الى هذه الدرجة ، هل تشعرين مثلى بان المكان يضيق بفرحتنا ؟ وهل تحسين مثلى بان هذه الفرحة قد لا يسعها الكون كله٠ ان السعادة تفتح الآن ذراعيها لاحتضاننا يا نجوى ٠ وثقى اننى لن ادخر جهدا لاجعل منك اسعد زوجة يضمها بيت رجل ، وأهنأ انسانة يضمها صدر زوج ، انه حلم تحقق وما اسعد هذا الحلم يا نجوى » ٠

وزاحم هذا الصوت صوت عائدة زميلتها وهى تلهج وتتبجج باطراء زوجها لجمالها اذ قال لها يوم الخطبة : « عائدة لقد اصبح هذا الجمال الدافىء ملكا لى ، انى ارى فيك صورة مجسمة لمعنى الجمال المختشم الذى اليه أسعى وفيه

أموت ، وغيرها وغيرها » ٠ ولكن ٠ ما لخطيبها هي واجما هكذا ؟ ماذا ؟ هل استنقص جمالها ولكنها لم تكن نكرة بالنسبة له ٠ لقد رآها اكثر من مرة قبل الساعة ، وقد عبر في اكثر من مناسبة بانه سعيد بهذه المصاهرة ، اذن ماذا ؟ كبرياء وصلف ؟ غير معقول ، اذ انها لا تقل عنه مستوى وثقافة ٠ وأبوها يتمتع بمركز اجتماعي هام ٠ ويشغل وظيفة محترمة ٠

لعله رجل خجول ، وهو ينتظر منها هي ان تفتح قوسا للحديث ولكنها اكره ما تكره هذا النوع من الرجال ٠

وبينما هي تفكر هكذا واذا برشاد يرفع رأسه قليلا ويقول لها في جدية متناهية وحيرة لم يفلح في اخفائها الا قليلا : « درة » ، فاهتز قلبها للنداء وارهفت السمع بشوق ، واذا به يقول : « انت على علم من انني سأسافر الى بنزرت للالتحاق بعملي هناك بعد ان انتهت اجازتي ، وتغيبت عنه اسبوعين كاملين ، ورجائي اليك هو ان تكاتبيني باستمرار ، وسأكاتبك أنا بدوري ، لا تقدمي شيئا عن رسائلي ولا تستهيني بامرها ، هذا كل ما التمسه منك بالحاح ولا اقبل فيه عذرا » ٠

قال هذا دون ان ينظر الى وجهها او ان يقحم جملة لينة ترفع من معنوياتها ، وتخفف من الكابوس الذي اعتراها ، وبقي ينتظر الاجابة منها بعد ان عاد الى اطراقته الاولى ٠

وهنا حاولت درة رغم اشمئزازها واستنكارها جفاف لهجته ان تصوغ جملة تضمنها قبول الالتماس او السؤال عن الداعي الى هذا الاهتمام بالمراسلة ، ولكن خانتها اعصابها الثائرة فلم تستطع الا ان تهمهم بكلمات لا معنى لها ولا حتى هي تسمع ٠ وانقطع خيط الحوار الخاطف الثقيل بدخول أبويها يستقدمان الخطيبين الى مائدة العشاء والاشراقة تملأ وجهيهما ، حفاوة بالخطيب الكريم ، وفرحة بابنتهما في اليوم السعيد ٠ وانتقل جميعهم الى قاعة الاكل بمن فيهم درة التي خرجت تجر اذيال حيرتها مع اذيال فستانها الوردي الطويل ٠

وبعد ايام قليلة من سفر رشاد الى بنزرت وردت على درة اول رسالة منه ٠ رسالة ليس فيها ما يمكن ان تحمله رسالة اولى من خطيب لخطيبته ٠ وليس فيها ما يقرب القلبين الى بعضهما سوى انها تحملها على الكتابة من جديد في اسلوب رفيع ، ولكنه خال من اي شيء يقال له العاطفة او المجاملة أو ما يشبه ذلك ٠

وهنا زادت حيرتها وكبرت علامة الاستفهام امام عينيها وعزمت ان لا تكتب اليه ولو حرفا واحدا ٠ ولكنها بعد لحظات غيرت رأيها ورجعت في

عزمها اذ فكرت انها اصبحت زوجة له بحكم العقد الذى تم بينهما اخيرا ، ذلك العقد الذى اصر هو بنفسه على اتمامه لاسباب قال انها مهمة جدا ، اذن فمن واجبها ان تسبر غور هذا الزوج الذى لم تتعرف اليه قبل الزواج الا لماما ، وان تماشيه فترة من الزمن حتى تقف على حقيقته ، ولها بعد ذلك رأى ونظر ٠

ولذا امتثلت لمشيئته وخطت له رسالة مقتضبة شحنتها بتحيات العائلة وببعض الكلمات الجوفاء التى لا روح فيها ولا حياة ٠ مع بعض التصريحات الخفيفة الغامضة لمواقفه الصلبة ولم يطل انتظارها حتى وردت عليها حمامة اخرى من رشاد فى صورة رسالة ولكنها لا تحمل السلام ولا تتصف بالبياض ، اذ كتبت على اوراق حمراء وشحنت بما لا يطمئن قلبها ولا يطيب خاطرها ٠ رسالة لا تنعت بالاقتضاب كسابقتها ، بل اطال صاحبها واطال ويا ليته لم يطل ، ويا ليته لم يكتب تماما ٠ اذ افتتح الخطاب بقوله :

« انستى ، او صديقتى ، او زوجتى ، او لست ادرى ماذا ، لقد اتصلت برسالتك أمس وكنت على أحر من لظى الهاجرة فى انتظار طلعته ، بحيث خفت يدى الى فتحها قبل ارادتى ، اذ كنت اعتقد اننى ساجد ضالتى فيها ، وبها ستفتح لى آفاق جديدة أنا فى مسيس الحاجة اليها وعليها تتوقف سعادتنا الكبرى ، ولكن خاب ظنى ٠

صدقينى اذا قلت لك اننى متخوف ، متخوف لاننى صريح وصراحتى هذه قد لا تروقك ، ولكن سواء أراقتك أم لم ترقك فأنا صريح بحكم غريزتى ، ولا احب الا الصراحة ٠ لذا اقول لك بالحروف الواضحة ان رسالتك لم تعجبنى ٠ لم تعجبنى لاننى لمست فيها التكلف واخفاء بعض ما تضمرين ، فرأيت وجهك بين السطور ساهما ومقطبا ينوء بشىء ويخفيه ، وهذا ما لا ارتضيه بينى وبين من ستوحد الايام بين مصيرى ومصيره ، فأنا أريدك أمامى عارية النفس طبيعية التعبير ، واضحة المشاعر والتفكير ٠ كما سأحاول فى رسائلى التى ستكون كثيرة فى المستقبل ان اقف أمامك عارى النفس صريحا ، وسأضع امام عينيك جميع نقائصى وفضائلى بأمانة فى لوحة مضاءة حتى يتجلى لك كل ما اشتمل عليه من حسن وقبيح ٠ وبودى بل ألح فى أن تكون رسائلك على هذا النحو من الصراحة والوضوح ٠ لاننى لا أعرفك حتى الآن ٠

لا تندهشى هكذا ٠ أجل أنا لا أعرفك حتى الآن ، لقد اجتمعنا مرات عدة ، هذا صحيح ، ولكن ثقى باننى كل مرة أراك فيها أحسن فانك كالعلبة الجميلة المغلقة ٠ لقد قيل لى ان بهذه العلبة درة ٠ ولكن لم أتوصل بعد الى معرفة قيمة هذه الدرة من حيث الجودة والاصالة الفطرية ، لا من حيث الجمال الظاهرى ٠ مع ملاحظة ان الجمال عندى فى المرتبة الاخيرة رغم ان الله حباك بقسط لا يستهان به ٠

لذا ارجو ان تكونى معى صريحة فى كتاباتك الآتية التى ألح فى ان تجعليها

طويلة ومستمرة وواضحة ايضا • اذ من يدرى فقد أكون أنا أيضا بالنسبة اليك صندوقا مغلقا •

لذا من الافضل ان تتوخى الصراحة مثلى وتقولى كل ما يخطر لك على بال فى شانى دون تهيب او وجل ، حتى نكتب لانفسنا الاقتران الحق ، لان ما كتب يوم القران ما هو الا رباط وهمى وحبر على ورق ، لا يمثل الازدواج الحقيقى الذى لا يخضع للنقض والابرام ، وما العبرة الا باتفاقنا الاثنين وحصول الانسجام بيننا ، والله يجعل لهذا بيننا من سبب •

وفى الختام ان اساءت اليك هذه الرسالة فلا تترددى فى اعدامها بالنار ، او باية وسيلة اخرى هذا لا يهم لاننى تعودت بمثل هذه الصدمات من اعداء الصراحة ، وغربتى فى دنيا الحق لا اعتبرها الا انسا • بل المهم ان لا تكفى عن الكتابة وان تكونى صريحة ولا شىء اطلب غير هذا ••• » رشاد •

وهنا نفد صبرها وتلاشى حلمها فالقت فى غضب وحقد ما كان بين يديها وقالت فى مرارة واستياء وثورة حادة نعم سأكاتبه ، وأقول له كل شىء سأقول انه خشن تنقصه الكياسة وحسن المخاطبة ، وأشعره باننى غير مستعدة الى معاشرة هذا الصنف من الرجال • ولكن باسلوبى لا باسلوبه الجارح الوخاز ، وتعابيره الحادة الثقيلة ، والقنه درسا فى علم الاجتماع واسلوب التعارف • وستكون هذه الرسالة هى الثانية والاخيرة ، وانكبت فى حينها على ورقة بيضاء واخذت تصب فيها ما ضاق به صدرها وضجر بين صد التهجمات وتحليل المواقف والنظريات ، والتعرض لبعض المفاهيم والاوضاع ، الى ان أحست بأنها استنزفت ما يجب ان يقال فى هذا الظرف بالذات وانه لا لزوم للاستزادة والتطويل ، اودعتها صندوق البريد • ثم اتجهت الى أمها لاطلاعها على انها قررت الانفصال عن رشاد وانه ليس من قوة على الارض تستطيع ان تجمع بينهما فى مستقبل الايام • اذ اتضح لها انه ليس الرجل الذى ترتضيه ولا الزوج الذى تحلم به •

فبوغتت الأم بمقالة ابنتها وحاولت الاطلاع على فحوى الرسالة ، ولكن درة أبت عليها ذلك • وعندما اطلعت الام زوجها على قرار ابنتها اشار عليها بعد تفكير طويل بان يمسكا عن القيام باية بادرة فى الموضوع حتى يتضح الامر •

وما هى الا ايام قلائل حتى حل ركب الحمامة الثالثة • ولم تحفل درة بمقدمها بل فكرت فى ان لا تفض غلافها وتعيدها بكرا لصاحبها • ولكن فضولها البشرى حال دون ذلك • فما هى الا لحظات حتى انتشرت اجنحتها البيضاء بين يديها بوعى او بدون وعى وقرأت :

« آنستى بل خطيبتى• بلغتنى رسالتك ولشد ما سرتنى ولشد ما اعجبتنى هذه المرة صدقينى اذا قلت لك اننى قرأتها اكثر من ثلاث مرات يوم وصولها

وما زلت حتى الآن أعود اليها بين الحين والحين وألتهم سطورها ، ولا أحسبنى استغنى عن قراءتها ما لم تصلنى منك رسالة اخرى ٠

اعجبتنى لانها اعطتنى صورة واضحة على جوانب من طبعك وبعض ميولك ، وان كنت تحاولين اخفاء ذلك ٠ واعجبتنى لان كل ما فيها انبعث من الاعماق حتى كدت احس بحرارة انفاسك تنبعث مع الكلمات المكتوبة وكأننى اتلقاها منك وجها لوجه٠ واعجبتنى فيها منطقيتها وتحاليلها الطريفة لبعض النظريات والطبائع ٠ مع غرس سهام حادة فى الصميم ابلغتها الكاتبة الى المعنى بالامر فى لين وكياسة حتى تلقاها بابتسامات عريضة وكانها بلسم يعيد الحياة ٠

انها براعة فى التعبير وحنكة فى وسيلة الاقناع والتوجيه الخفى وهذا ما سرنى فيها ، اذ كشفت لى عن جوانب هامة لا يستهان بها فيك ٠ وبالجملة فان رسالتك كانت نارا تحت رماد ، ولكنها نار محببة اذ لا ننسى ان للنار مزية التطهير والتعقيم ٠ وهذا ما لمسته فى نار رسالتك الاخيرة ٠ لقد كانت السنة الحمم تمتد من بين كلماتها اللطيفة ٠ فتحرق فى رفق وتلتهم ما تصل اليه دون ضجة او دخان ٠

اما الذى استنتجته من كل هذا فهو ان رسالتى الاخيرة اثارت وحركت فيك كوامن الغضب والخوف ٠ وما ذلك الا لانك أسأت فهمها وفهم صاحبها ٠ وذلك الذى اراد تجنب سوء التفاهم بصراحته فوقع فى عين المحظور ٠

يؤسفنى جدا ان تعتقدى التجبر والصرامة ٠ أو أن تأخذى عنى صورة الامر الفارض ٠ أبدا فأنا أول من يؤمن بالحرية الفردية بين الزوجين واول من يحبذ طريقة الطلب من الزوجة ولا امرها لاننى أميل الى التجاوب التلقائى الذى عليه تقام دعائم الحب الصحيح ٠

اما الذى عبته عليك فهو اهتزازك السريع لاتفه الاسباب الشىء الذى يتنافى مع ما امتزت به من تفكير صائب فى الرسالة المذكورة ٠ ويتنافى مع الشرط الاساسى للزواج السعيد وهو الصبر وطول البال وعدم الارتجال فى الحكم على الاشياء ٠

والآن أعود الى الصراحة ٠

يظهر لى ان نظرتنا الى فترة الخطوبة تختلف تماما ٠ فانت ترين كالكثيرات ان مهمة التعارف قبل الزواج تنحصر فى التودد والمجاملات ، وتبادل الهدايا والتظاهر بكل جميل وطيب ٠ وأنا أرى أن فترة الخطوبة من الاحسن استغلالها فى التعارف الحقيقى ، فيتحاك الطرفان بصورة مجدية ويفحص كل منهما طبائع صاحبه ويدرس نفسيته وميوله ، حتى تتعانق الارواح قبل العناق الجسدى ٠ ويصبح يوم اللقاء هو اليوم الموعود لبدء حياة زوجية سعيدة عوض ان يكون يوم بدء التجارب والاصطدامات ٠ وبهذه الطريقة اما ان يكون الفراق

قبل اللقاء واما ان يكون لقاء بلا فراق وتسبح سفينة الشهر الاول من الزواج فى بحر العسل المصفى واذ ذاك يصح وصفه بحق بشهر العسل ٠

لقد قال احدهم ممن تزوجوا واستعملوا طريقة المواربة فى فترة الخطوبة : « كنت اعتقد قبل زفافى اننى لا استطيع ان انسجم مع اى امرأة اخرى الا هى ولكن بعد الزواج تبين لى اننى استطيع ان انسجم مع كل امـرأة الا هى ٠ وهذا عين ما أحسست به زوجتى فتفارقنا » ٠

ولو راجعنا السبب لرأينا ان فترة التعارف قبل الزواج انقضت بينهما فى المجاملات ودور السينما والتفسح واللهو مع اظهار كل منهما نفسه ملاكا نزل من السماء وتطوع بالعيش بين البشر ٠٠٠

وهذا خطأ لا أريد ان نقع فيه ٠ لذا أجبتك بصراحتى المعهودة لا عما جاء فى رسالتك واضحا بالحروف بل وحتى عما قرأته بين السطور وخلفها ٠

بقى هنا أن أشير الى جملتك التى تقول : « اللغة واسعة والاديب الحق هو الذى يستطيع ان يفرغ ما فى جعبتـه للطعـن والنقـد ان اراد ذلك دون ان يستعمل لفظة تثير او كلمة تمس العواطف » ٠

فان كنت تعنينى بذلك ، قلت : « هذا صحيح ولكن انا لا اريد ان اكون مع زوجتى أديبا بل أريد أن أكون معها كما أكون مع نفسى فعندما يخـاطب الاديب نفسه لا أظن أنه يبحث عن الكلمات الرقيقة حتى لا يسىء اليها ، هكذا الزوجة يجب أن تحل محل النفس تماما ٠ وبفهمى هذا للزواج ولقصر فترة خطوبتنا طرحت المقدمات فى رسائلى ودخلت فى الموضوع مباشرة ولكن مع هذا فأنا أعتذر وأبرر أسلوبى بحسن النية وشرف القصد ٠

وفى الختام وصيتى دائما بل (طلبى) هو أن تكاتبينى وتطيلى فى الكتابة مع الصراحة » ٠ رشـاد

لقد فجرت هذه الرسالة فى درة ينابيع من الانوار تدفق منها واضاءت لها جوانب من نفسها كان القتام يرين عليها فأحست بشىء يشدها الى الرسالة والى التلذذ بقراءتها ٠ هنا فقط بدأ يستيقظ الجبار فى قلبها ٠ فلم يمض ذلك اليوم حتى كتبت لزوجها رسالة املاها الواقع الجديد والانقلاب المفاجىء ٠

وبعد سنتين فتحت درة عينيها من سبات هادىء عميق استغرقت فيه ساعة وبعض الساعة اثر ان وضعت حملها ، وانجبت طفلها الاول ٠ ففركت عينيها والتفتت الى يمينها حيث وجدت رشاد جالسا القرفصاء بالقرب من سريرها وهو يرقبها عن كثب وعلائم التاثر المزدوج باديـة على محياه ، وبمجرد ان احس بصحوها بادرها قائلا : « درة هل انت بخير ؟ طمأنينى فأنا مشتت

بين الفرحة بأبوتى والخوف على صحتك قولى يا حنينتى بماذا تشعـرين الآن وبماذا تحسين أتشكين من شيء ؟ » ٠

فاغرورقت عيناها بدموع الفرح وأجابت فى صوت منخفض يرشح رقـة واعترافا بالجميل:«لا أشكوشيئا مطلقا يا رشاد بل‌احس بالسعادة تغمرنى وانت تغرقنى فى فيض عطفك وحنـانك لقد وجـدت فيك اكثر مما كنت اتمنى من الرقة واللطف وحسن المعاملة » ومدت له يدها كانها تروم معاهدته من جديد على الحب والاخلاص ٠ فتلقفها فى رفق وضمها الى صدره ثم انكب على وجههـا وطبع على جبينها قبلة وليست ككل القبل بل تحمل ألف معنى ومعنى ٠ وبعد لحظات ساد فيها الصمت والسكون ، حمل بين يديه المولود الجديد واتجه اليها بالخطاب قائلا : « من اجل هذا الطفل كنت شديد الحرص على معـرفتك قبـل البناء يا درتى الغالية ، ومن اجل هذا الطفل كشفت لك عن فضائلى ونقائصى قبل الـزواج حتى لكأننى فى حضـرة الاله يوم الحشـر والحسـاب فى تلك الرسائل التى ازعجتك وضقت بها ذرعا ؟ ٠ ولكنك اقتنعت آخر الامر بسلامة الطوية وحسن السريرة فكنت بذكائك الوقاد وطيب محتدك اكبر معيـن لى وأحسن قرينة ٠

واذا كنت افتخر بك اليوم كزوجة فأنا على يقين من اننى سأفتخر غدا بمن أنجبته هذه الزوجة هذا الذى مهدنا له السبيل معا لينبت فى جـو يسـوده الوئام والوفاق جو مطهر من الضغينة والنفـاق » ٠ وسكت قليلا ثم اردف :

« لقد قلت يوما انه ليس من قـوة على الارض ان تجمع بينى وبين هـذا الرجل ولكن قوة العقل استطاعت ان تحقق هذه المعجزة فجمعت بيننا لاننـا لم نخلق الا لنعيش مع بعضنا البعض ٠ ولان اسلم السير فى الضياء » ٠

هنـد عـزوز

اطـــوار :

مدرسة التجديد في الشعر التونسي الحديث

بقلم : محمد الحبيب عباس

– 4 –

٠ ٠ فلما أهل القرن التاسع عشر الميلادى اكتسب الشعر التونسى ، تبعا لحياة الفكر فى تونس ، دما جديدا ، جاءه هذه المرة ، من مصدر غير قومى ، عكس ما حققته الحركة الادبية فى القرنين قبله ، لان المجتمع العربى لم يقف فيما سبق على مستحدثات النهضة الصناعية الاروبية٠

أما وقد تعرف الاديب التونسى اليها ، وهب يتلمس جوانبها الثقافية ، او بعض جوانبها ، بواسطة اساتذة غربيين مختصين استقدموا للافادة من علمهم المستجد ، فان ظلال هذه الثقافة المبتكرة انعكست على الادب ، وطفق الشاعر يفيد من حصاد ثقافته الجديدة ، ويستمد من فتوحات الصناعة الحديثة ، ومفاهيم مفكريها : موضوعات طريفة حولت مجرى الشعر عن البضاعة المردودة الى غابر ، وصرفته الى صميم جديد أغترفه لا من ماض طواه التاريخ ، وانما من حاضر معاش فى واقع الحياة المتطورة ، بل لم يستنكف عن التبشير باسس تلك النهضة ومثلها ، ولم يتهيب السعى للاخذ منها بنصيب ٠

أ ـ وكان محمود قابادو (1813 م ـ 1871 م) حامل لواء هذا النمط المستجد فى : اتجاه مخضرم ، أعد له من تلاميذه ، ثم ترسمه عنهم تلاميذهم ، ليكونوا جميعا روادا نابهين مثلوا ثالث اطوار مدرسة التجديد فى الشعر التونسى ، وهو :

3 ـ طور الخضرمة :

فى طور الخضرمة استمرت طريقة الشعر العمودى شكلا ومضمونا ، إلا أن ذلك لم يحل دون ظهور الفئة المتفتحة فيما اشترعه قابادو النابه بما سبق اليه من استلهام دخائل الذات الصميمة ، وتحسس حياة المجتمع ، والاقبال على مجريات التطور التى تمخض عنها عصر الآلة ، والفتوح العلمية ، فنال الشعر من تفتحها نفحة من اصالة ، ومسحة من التجديد ٠

وغدا له عند قابادو ، ومحمد السنوسى ، وسالم بو حاجب ، والباجى المسعودى ،وغيرهم ٠٠ عصر يحدده ، وموطن ينتسب اليه ، وشخصية اقل

بحرانا فى انماط التقليد الصرف مما هو اقرب الى شعراء الخيل والليل ، والنوق ، والاطلال ، والبيداء ..

ومن شعر قابادو فى معرض التنويه بالمنهج العلمي الحديث ، يحرض أمته على الأخذ به ، قوله فى قصيد عنوانه : « **أوروبا** » :

أيجمل ، يا أهل الحفيظة ! ، أنهم يبزوننا فخرا لنا كان فخمه ؟ !
لقد قتلوا دنيا الحياتين خبرة فمن لم يساهمهم فقد طاش سهمه

أنبه هنا ـ فقط ـ الى كلمة « الحياتين » ، والى الاضافة التى وقعت فيها : « دنيا الحياتين » بينما العبارة المالوفة : « الحياة الدنيا » ، انبه الى ذلك كابلغ دلالة على عمق فهم الشاعر لاصالة الثقافة الغربية ، وهى تعنى بتطوير الحياة المادية ، والحياة الذهنية معا .

ولئن بدا ـ الآن ـ الاقرار بتطور المعرفة الذهنية فى بلدان الغرب فى القرن التاسع عشر أمرا عاديا ، لا يدعو الى الاستغراب ، فالواقع على خلاف ذلك فى مضاعفات القرن الماضى ، اذ ليس من السهل على رجل دين ، يفترض فيه الاعتزاز بالارث القومى ، والشك بما يصدر عن المخالف فى العقيدة حد نكران ان تكون له مزية فكرية سليمة من الدس والبهتان ، ولا يطعن فيها بالافك والسفه والتضليل خاصة فى عصر ما يزال يحتفظ بفوارق اللغة والمعتقد والجنس فى قضايا التعديل والتجريح ، لا فقط عند العرب والمسلمين ، ولكن عند غيرهم من الشعوب الاخرى ايضا . لكنها سماحة قابادو المثقف الواعى ، والعبقرى المعافى من داء المكابرة ، وآفة التعقيد ، لم يدع فى ذهنه المصقول اى شائبة من شوائب التعصب والحفيظة .

ب ـ ثم نقع على مظهر عال آخر من مظاهر التطور الذهنى فى شعر عبقرى آخر ، هو ، الشيخ : سالم بو حاجب المتوفى سنة : 1339 هـ ـ 1920 م ، أبرز تلاميذ قابادو فى جامع الزيتونة ، نستدل عليه ببيتى أبى حاجب التالين :

علينا ، عباد الله خدمة ارضنا فما هى إلا ، فى الحقيقة ، أمنا .
فمنها تكونا ، وفيها معاشنا وان عافنا الاهلون فهى تضمنا .

هذه نظرة جديدة الى « الارض » التى كانت مهبط سخط المتصوفة العلماء اعراضا منهم عن « الدنيا الدنية » وهروبا من معركتها المغرر بالانقطاع عن مزالقها الى الخلوة والمجاهدة الصوفية تافقا من منحدرها الزلوق ، وطمعا فى الاستعاضة عنها بنعيم الروح ولذة الالم ، وجنان الخلد . لكن نظرة جديدة جرت على لسان متدين مشهور ، ومصلح لامع للمت فى البيتين ، وهى :

العقيدة الوطنية المستحدثة ، كما اختصرت نظرية الارتباط بارض الوطن

فى مفهوم هذه العقيدة المستحدث ، وفى نفس الوقت المبحث الى : صلة الانتاج بالارض ، ودورهما فى ازدهار الاقتصاد الوطنى ، وتحسين مستوى الحياة .

أما من مثل هذا الاتجاه الشعرى من شعراء المشرق العربى ، فهم :

أ ـ عبد الله البستانى ، المتوفى سنة 1930 ، وهو من لبنان .

ب ـ حافظ ابراهيم ، المتوفى سنة 1932 .

ج ـ أحمد شوقى ، المتوفى سنة 1932 ، وهما مصريان .

د ـ معروف الرصافى ـ العراقى ـ المتوفى سنة 1945 .

يؤلف هؤلاء ونظراؤهم اتجاه المخضرمين فى شعر النهضة الادبية الحديثة بالمشرق على غرار من مثلها فى تونس امثال « قبادو » و « أبى حاجب » و « السنوسى » و « أبى الضياف » و « الباجى المسعودى » .. لكن المشارقة امتازوا بمأثرة جليلة لم يعرفها الشعر التونسى إلا فى زمن متأخر ، بل وبطريق زملائهم الشرقيين ، وهى : **الشعر المسرحى** ، فى محاولات عبد الله البستانى ، وأحمد شوقى ، ثم محاولات آخرين بعدهم ..

والى سبق ظهور المخضرمين فى تونس ، عن ظهورهم فى المشرق : مرد خلو شعر اولئك من : المسرحيات الشعرية التى ظهرت فى محاولات المشارقة . ذلك ان سبق الشاعر التونسى الى الاستمداد من الحياة العصرية والثقافية الغربية لم يمض عليه متسع من الوقت للتغلغل فى آدابها ، فالاطلاع على ما لا عهد للآداب العربية به من فنون الشعر ، والنثر .

4 ـ طور التحرر :

ومع الأجيال التى نضجت مواهبهم خلال الربع الأول من القرن العشرين ، فما بعد ، وكان حظهم من الثقافة الغربية ، واطلاعهم على الادب الفرنسى اعمقين ، : اصاب الشعر التونسى ، فى محاولة شعرائهم ، تحولا جذريا :

1 ـ فى الموضوع والمضمون ، وقد تجاوزا فى تطورهما المقادير الجزئية التى كانت من نصيبهما فى عهد سابق .

2 ـ فى الهيكل والاسلوب ، مما سيؤول الى تحرر صريح كامل من اوزان الخليل ، واعاريضه ، وخروج سافر على التعبد بوحدة الوزن ، والقافية ، والبيت ، وذلك لما اشتد التفاعل بالشعر الغربى ، منذ خمسينيات القرن الحالى ، اما مباشرة لدى دراسى الادب الفرنسى نثرا وشعرا ، أو بتأثر رواد

هذا الاتجاه الجديد من شعراء المشرق العربى ، فى محاولات خولت : طور التحرر ان يتبلور اكثر فاكثر ، وما تزال ..

1 — وقد ظهر هذا التحول المزدوج ، فى تونس ، اول ما ظهر ، على ما انتهيت اليه حتى الآن بعد طول بحث ، فى عدد من قصائد المفكر التقدمى ، والمصلح الثائر ، الفيلسوف : **سالم بن حميدة** (1) . فى محاولات هذا العبقرى نحا الشعر منحى فلسفيا : انسانيا تارة ، التزاميا وطنيا ، تارة ثانية ، ذاتيا تارة اخرى .

وتلامس ، نديه ، بعض النظريات العلمية او الفلسفية اوتار العاطفة فتحركها للغناء الشعرى على غرار ما جرى لفئة من الفلاسفة أو العلماء ممن غلبت الصبغة الادبية على نتاجهم العلمى أو الفلسفى ، امثال : « برکسون Bergson H. » الفيلسوف الفرنسى (2) ، سيما فى أجود كتبه : « التطور الخلاق » و « انشتاين Einstein Albert » (3) فيما ختم به فصل « الغبطة » ..

وتثير نظرية « دروين Darwin » المتعلقة بما بين الانسان والشمبانزى — اشبه القردة بالنوع البشرى — من شبه ، ثم ما فسرت به من قبل المولعين بها من ادعاء تحدر البشر من قرد تطور الى انسان ، يثير هذا الراى جدلا على شتى المستويات ، وتبلغ اصداؤه العالم العربى والاسلامى ، فتختلف ردود الفعل بين الرفض ، والقبول ، والتوقف ، والمناقشة .

ويقف ابن حميدة ازاء هذه النظرية مناقشا ، يتحدى الزعم وينقضه ، ويجرد نثره وشعره للرد بما يتفق وطبيعة كلا الفنين ، من ذلك ما قاله فى قصيد طويل ، منه :

اعجز العلم مبدئى ومعادى — اى عجز يضل فيه رشادى
جهل « فرودى » وعلم « دروين » — فى نوادى « القرود » كل ينادى
جئت من اين ؟ والى اين امضى ؟ — ما حياتى ؟ ما نشأتى ؟ ما مرادى ؟
ما نعيمى ؟ ما لذتى ؟ ما شقائى ؟ — ما عذابى ؟ ما ضلتى ؟ ما سدادى ؟
اعجز العالمين تحقيق كونى — فاضلوا ، ولم يلموا بهادى
فدعى العلم للتخرص عبدا — ما اراد البناء إلا وهدا
يرتقى بالدليل حتى اذا ما — ساء فالا اولاه صدا ، وردا
كلفته ظواهر الكون مالا — قد يطيق ، ان رام حصرا وعدا
فانثنى جاحدا كفورا بحق — مفسدا ، عابثا ، مكدا ، ملدا
فاهجرى هجره الى صفو حلمى — واشربى كاسه اذا رمت جدا
...

(1) ولد سنة 1881 وتوفى سنة 1961 .
(2) (1859 — 1941) .
(3) (1879 — 1955) .

ويمضي الشاعر في اشارات موحية ينتقد افراط « فرويد Freud» في التركيز على الغريزة في باب التحليل النفسي مما اصبح مقترنا باسمه لدى علماء النفس ·

كما وضع في قبالة نظرية « تطور الادنى الى الاعلى » عكسها القائلة « بهبوط الاعلى الى الادنى » مما هو معروف بالمسخ ، ليطلب الى القاطعين بتحدر الانسان من فصيلة القرد ما يرجحون به احد الاحتماليين بطريق الدليل الموجب ، لا الميل المجرد ، ليسبق ما ظهر اخيرا من نتائج مختبر علم الحيوان لدى العالمين « فرنون رينولدز » و « اندريان كورتلانت » من تاكيد ان الانسان لا يمكن ان يكون متحدرا من القردة ، بل على العكس ، فالقردة قد تكون هي المنحدرة جانبيا من بني الانسان ·

ثم خلص ، في اسلوب شعري ، الى ابراز نقطة الضعف في منهج العلم مما عرفناه لدى كبار الفلاسفة الغربيين في تحليل اسلوب البحث في مجال العلم لاحصاء خصائصه : ايجابا ، وسلبا فجاء المقطع الثاني بابياته الخمسة يختصرها اختصارا طريفا ·

فدعى العلم للتخرص عبدا ...

يرتقي بالدليل ...

وكان في نزعته الفلسفية على طريقة المدرسة الاشراقية فيما توليه الروح من اعتبار الى جانب الادراك العاقل ، كما يميل الى تاكيد ما بين الانسان والكون من صلة ·

غصت في لجتي اسائل نفسي عن حياتي ، ما بين يومي ، وأمسي
بين ماض ، وغابر ، ضاع حسي يا حياتي هل فيك سر دفين ؟
في مكاني ، في ساعتي ، في ظروفي في سمائي اذا أجلت حصيفي
في اختلاف الفصول كم من صروف حبة القلب هدفها والعرين
كل ما في هذي الطبيعة مني ، كل ما في جزؤها ، فامتحني
تلفها مسرحا يمثل كوني ، تلفني مسرحا لها قد اكون
...

والقصيد طويل مثبت بديوانه « الزهريات » المخطوط ، نورد منه البيتين التالين ، ايضا ــ للتدليل على وطنية الرجل ، ومبلغ التحامه ببلاده :

لو تجردت من بلادي وارضي لو أضعت من ارض تونس حظي
لن تراني ، وقد جفاني ، بعضي غير وهم ، تهيم فيه الظنون
...

وعلى لسان الامة التونسية نفث سخطه على الدول القوية المغررة بالشعوب

الضعيفة باسم الحرية وحقوق الانسان فى قصيدته « الانسانية » تعقيبا على خطاب « ولسن » فى : « عصبة الامم » سنة 1919 فيما ردده هناك من دعوة لحماية السلام ، ودعم حقوق الانسان ، ومنها :

ضاق ذرعي والكون رحب فسيح — لم اجد ملجأ به استريح
من خيال ما انفك يدعو يصيح — ايها الانس ان جفنى قريح
باكيا ما نكثتمو من ذمامى

ضل صبرى ، وما دريت خطابا — صالحا ، ان يكون منى جوابا
فالتفت إلى الأنام عتابا — ابتغى الحق ، فاجتنيت عقابا
حال بينى وبين ذاك المرام

غللونى بادهم من حديد — قيدوا مقولى بقيد شديد
قرنوا نظرتى ببطش شديد — وسبوا فكرتى بشر وعيد
وادعوا اننى عدو النظام

...

بلغت ابيات هذه الملحمة ستا واربعين بيتا عدا الأشطر التى تلى كل بيتين ، **وزعت** على سبعة فصول ، ودار الحوار فيها بين :

1 ــ **الشاعر** نفسه .

2 ــ **واحدى** ثلاث غوان تمثل فيهن : الحق ، والحرية ، والسلام .

تعد من اروع ما اعطى الشعر العربى الجديد مبنى ، ومعنى ، نشرها الشاعر كاملة فى جريدة « مرشد الامة » فى عددها الصادر يوم 27 رمضان 1338 ــ 28 جوان 1920 ، ثم أعاد صاحب الجريدة : سليمان الجادوى ، نشرها فى كتابه : « الفوائد الجمة فى منتخات مرشد الامة » سنة 1925 ، بالصحيفة 360 فما تلاها .

أما فى الشكل فشاعرنا لم يشذ عن مزاجه الثورى ، بل خرج عن القوالب المتبعة الرتيبة وصرف الموسيقى فى جانب من اشعاره الى تنويع الوزن والقافية ، وفى جانب آخر تحلل من انماطهما المألوفة تحللا مطلقا .

وفى « الزهريات » الذى سبقت الاشارة اليه نقع على عدة قصائد من هذا السياق ، وفيه اكثر من سابقة جديدة ، ومن ابرزها ما يعرف فى النقد الادبى اليوم بـ : « **وحدة الديوان** » اهم مظاهر التجديد فى الشعر العربى الحديث .

لقد تهيأ لابن حميدة أن نضد قصائده « الزهريات » فى باقة واحدة ، كرست جميعها لغرض مشترك ، ظل المحور الذى دارت حوله على تنوع فى

التجارب ، واختلاف بين الدوافع · وهي ترجع ـ زمنيا ـ الى ما قبل سنة 1932 لأن الشاعر كان في شهر جانفي من هذه السنة قد انتهى من نسخ مسودة الديوان ووضعها في صورتها المعدة للطبع كما هي عليه الآن ·

ومن تلك الزهريات ، قصيده : « المناجاة » ، ومنه :

يا لقلبي
ذاب لبي
من لقربي

من ملاك فاز مني بالحشا
ظل يوحي لفؤادي ما يشا

في هيامي
في سقامي
في ظلامي

ضاء لي في الافق ، من سجف الدجا
باسم ، من ثغر برق ، اجهشا

في رياض
في غياض
في تغاض

زرت روض الزهر حياه الحيا
فاحتساه الزهر راحا فانتشي

يا لزهر
ضم بدري
لست ادري

في سماء انت ، ام بدر السما
قد تدلى ، فاعتلى منك الحشا
...

لدينا اكثر من دليل على ان شاعرنا كان مغرما بالادب الفرنسي ، اقبل عليه بالمطالعة ، والحفظ ، بل كان ينتقي منه نماذج لتلاميذه · حدثني محمد البهلي النيال ، وهو ممن تتلمذ على سالم بن حميدة مع زمرة من رفاقه في العقد الاول من القرن العشرين ـ سنة 1909 و 1910 ـ أن استاذه كان يتخير لهم مختارات من شعر فولتير Voltaire الشوري فيما روج به لمبادىء الثورة الفرنسية : الحرية ، والديموقراطية ، والعدالة الاجتماعية ·

ولا يخفى ان فولتير كان من قادة الفكر الفرنسى الذى كرسوا انتاجهم لخدمة المجتمع ، وهيؤوه للثورة التى اندلعت سنة 1789 ·

واكثر من ذلك ، فقد نشر لابن حميدة شعر باللغة الفرنسية ، كان يشترك فى ترجمة بعضه مع الاديب الجزائرى المشهور « جان عمروش » لما كان هذا مقيما بتونس · من ذلك قصيد : « دموع » المترجم بعنوان « Larmes » المنشور بالمجلة الفرنسية « Mirages » فى العدد الاول من سنتها الثانية الصادر عام 1932 ·

2 ـ ثم ظهر **أبو القاسم الشابى** (1909 ـ 1934) عبقريا مجددا ، اطلق ثورة عارمة فى شعر تمردى جديد ، جنحت به المرارة ، فى حالات كثيرة ، الى رومنطيقية خصبة ، كانت البداية الاولى لظهور نزعة رومنسية فى الشعر التونسى جمعت خصائص الرومنسية فى مدلولها الدقيق كما عرفها الادب الفرنسى فى اعلام هذه المدرسة امثال « شتوبريان F. Chateaubriand » (4) تخللها عند الشابى الملهم وميض متقطع من الأهل الذى كان يضيء ، من حين لآخر ، نفسه العابسة ، بأناشيد الحب ، والغزل ، والرضا ، والبناء ، فالائتناس الاجتماعى ·· ثم لا تفتأ تعود الى العبوس ، والهروب ، والتأفف ، او الى الثورة والتحدى ، او المرارة والألم ·

وكان هو الآخر قمة فى التجديد ، وثورة على الاوضاع الاجتماعية والسياسية العفنة ·

وديوانه « اغانى الحياة » حافل بغرر القصائد من حالات الشاعر تلك ، وهمومه ، ينقل تجاربها بوفاء ، ويرسلها جياشة بالرؤى ، منبجسة بالعبير ، او فياضة بالزهو ، او متجهمة بالقطوب ، صارخة النكير ، داعية للبناء ، منطلقة من هدم الخراب الاجتماعى ، والسياسى ، والقيمى ··

ولكم تمنى ان يكون حطابا يهوى بفاسه على جذوع شعبه ، او سيلا يجرف اشباه الاموات من الاحياء :

أيها الشعب ! ليتنى كنت حطابا فاهوى على الجذوع بفأسى !
ليتنى كنت كالسيول ، اذا سالت تهد القبور : رمسا برمس !

··· قصيد « **النبى المجهول** »

ويطلق فى وجه الطاغية صرخة الحق المرعبة :

وفى صيحة الشعب المسخر زعزع تخر له شم العروش ، وتهدم
ولعلعة الحق الغضوب لها صدى ودمدمة الحرب الضروس لها فم

---

(4) (1768 ـ 1848) ·

اذا التف حول الحق قوم فانه　　يصرم احداث الزمان ويبرم
لك الويل يا صرح المظالم من غد　　اذا نهض المستضعفون ، وصمموا

٠٠٠ قصيد « **الى الطاغية** »

وديوان الشابى منشور ، بوسع القارىء ان يستمد منه ما شاء من النماذج العالية ، وفيها ظل الشاعر شديد الصلة بانسانيته الرحبة يغترف منها بغير تزييف ، ويستمد استمداد فيض ، ويعطى من ذاته لفنه ، وذوقه ، وأمته ما ظل فيه على وفاء الاصالة قمة من قمم الخلود ٠

ومن خير ما يذكر للشابى الأبى : انه لم يمتدح بالشعر ، ولم يهن فنه فى التكسب ، شأنه فى ذلك شأن ابن حميدة ، سلفه ، فى جبهة اخرى من جبهات ثورتهما على مفهوم الشعر الموروث فى عصر ما يزال القريض يساق ، فى كثرة منه ، للزلفى او التزلف ٠

قال الشابى :

لا انظم الشعر أرجو　　به رضاء الأمير
بمدحة أو رثاء　　تهدى لرب السرير
حسبى اذا قلت شعرا　　ان يرتضيه ضميرى

وفى قصيده « فلسفة الثعبان المقدس » يلتقى فى المحور العام مع مطولة ابن حميدة « الانسانية » وقد ادرك الشابى ، ما ادركه ابن حميدة ، اضمار القوى الشره الوقيعة بالضعيف الغرير ثم افترق الشاعران افتراقا بينا فى الابعاد ، والاشواط ، وجوانب الاستمداد ٠٠

محمد الحبيب عباس

إصلاح خطأ

نشرنا فى عدد جوان الأخير قصيدا للشاعر جمال الدين حمدى وتسرب خطأ فى البيت الآتى :

من بكفى ؟ من منقذى ـ من بكفى ـ من بذات تغور فى سيل طين

والصواب :

من لكفى من منقذى ـ من لكفى ـ من لذات تغور فى سيل طين

الموت والحطاب *

شعر : عبد الرحمن الكبلوطي

ظل يمشى مجهدا
عائدا قبل الغداء
لصغار بعد كد ونصب ...
فوقه حمل ثقيل من حطب ...
ظل يمشى متعبا
ـ ذاكرا عهد الصبا ـ
تعبا ما انفك يمشى دائما
أنزل الحمل ، معنى ، هائما ...
رفع الرأس الى رب السماء ،
سائما عيش الضنا ، مستسلما
شاكيا من جوع أطفال صغار
لم يذوقوا الخبز مذ بان النهار !

* * *

ما جنى الحطاب من عيش على طول السنين
غير شوك وصعاب وحياة لا تلين
وقلوب لا تواسى ، لا تعين ...
انه أتعس عبد فى الوجود
قد تمنى أن يوارى فى اللحود
بات أحيانا مع الابناء من غير طعام
عيشه صار قتاما فى قتام

(*) هذا القصيد مقتبس عن قصيدة «الموت والحطاب» la mort et le bûcheron للشاعر الفرنسى : لافونتان .

عيشه أضحى حراما فى حرام
وظلاما مستمرا فى ظلام
قد دعا : يا موت زرنى فى عجل
لا تأخر ! اننى عفت الامل
اسرع الموت خطاه
سائلا من قد دعاه :
« سيدى الحطاب ها أنى اتيت
فلماذا يا ترى الآن دعوت ؟ »
قال : « ساعدنى على حمل الحطب
سيجازى الله منا كاسبا ما قد كسب . »

* * *

عجبا يا للعجب
عندما الموت أتى ولى التعب
وتوارى كل حزن وغضب ...
عندما الموت أتانا ...
مسرعا لبى ندانا
لم نوافق ... بل رفضنا
ما طلبنا ... وانتفضنا
ونسينا
بل تناسينا الألم
وطفقنا نبعد الطيف الملم
عجبا يا للعجب
عندما الموت أتى ولى التعب
وتوارى كل حزن وغضب
ورجعنا للصواب :
« نرفض الموت ونرضى بالعذاب »

عبد الرحمن الكبلوطي
القيروان فى 67/1/29

فن الشعر الياباني

بقلم : محمد عزيزة ومحمد الماجري

ينقسم الشعر الياباني الى قسمين اساسيين :

ـ الطـانكــا

ـ والهـايكـاي

وبصفة عامـة ، يمكـن ان نقـول ، ان الطانكـا يمثـل الشعـر الحضـري الاورستقراطي ، شعر الطبقة الموسرة ، بينما يمثل الهايكاي التقاليد الشعبية للشعر الياباني ٠

وابتداء من عصر الهيان Heian الذي دام من سنة 784 الى سنة 1186 ، اخذ الطانكا حظه ، وسما على يد شعراء كبار ، نذكر منهم : « ناريهيرا » Narihira واثره : قصص «يزي» I Sée المعروفة ، وايضا على يد الشاعرتين الخالدتين : أونونو كوماشي Onono Komachi وميرازاكي شيكيبو Murasaki Shikibu

أونونو كوماشي تذكر عنها الاساطير القديمة ، ان جمالها لا يظاهيه جمال ، وحسنها لا يظاهيه حسن ، وعفتها وذكاءها ليس لهما مثيل ، وقد الهمت هذه الصفات ، مواضيع مسرحيات شتى ، غنم منها المسرح الياباني كثيرا ٠

أما « ميرازاكي شيكيبو » فقد خلفت عدة قصائد ذات قيمة ، زيادة عن مذكراتها الخاصة « جانجي مونوقا تاري » Gengi Monogalari التي تعتبر من امهات التراث الادبي في العالم ٠

نماذج من شعر الطانكا : Tanka

I

ذبلـــت الــــــورود
فبـانــت ألـوانهـــا
وهأنـذا أحـاول بـلا جـدوى
التفتيش عن مروري في هذا العالم
من خـلال شيخوخـة جسـدي

II

الآن وقــد طلـــع الفجـــر
آه .... وودت لـو رأيــت
الثعلب يفتـرس الـديـك
الـذى بغنـائـه بـاكـــرا
أفـزع حبيبتى .... ففـرت

III

تعــب ! قمـر منتصف الليــل
اخذ يغيب في سحابـة كثيفـة
بينمـــا كنـت اتســـاءل
اذا كـــان حقـــا هـــو
الـذى اسعـدت بملاقـاتـه

اما الهايكاى فهو عبارة عن قصيدة شعرية قصيرة جدا ، تتركب من ثلاثة أبيات : 5و7و5 مقاطع

فعن اى شيء يمكن ان يعبر الشاعر فى اطار ضيق كهذا ؟

عن شيء بسيط سطحى فى الظاهر وعن اشياء عظيمة عميقـة ، اذا رسمنـــا الهايكاى بطريقة فنية مؤثرة ، اذ يصبح حينئذ ، وضعا شاعريا حالما وصادقا لحال خاصة ومعينة .

وبما ان تركيبه قصير ، فتاثيره يكون محصورا ومحدودا .

والياباني متأثر بتربيته وبيئته، ومن هنا نفهم قدرته على التأثر المركز العميق.

والغرض الاصلى لتعاليقنا فهو انارة راى القارىء ، واعانتــه على السيــر فى الطريق ....

ولا شيء يمكن ان يظاهى ، اتحاد العواطف والآراء ، مع روح الشاعر اليابانى « باشــو » Baho

ماتسيو باشو Matsuo Basho (1644-1694) اكبر شاعر يابانى ، كان يغنى الحب والطهر ، مولعا بالزهور ، والرياحين والتمر .

فآثـاره عبـارة عن أناشيـد وتسابيـح للطبيعـة ، مجـزاة ومقسمـــة ، ومنقوشة فى التلفيظ الصغير ، لقصائده القصيرة، فهو تارة شاعر ، وطورا مسافر ، يجوب ليلا ونهارا ، طوال حياته ، الحقول والغابـات ، والجبـــال والسهول .

لقد كان دائم التأمل ، حسب فصول السنة ، فمرة نراه متأملا تحت شجرة كرز ، واخرى تحت شجرة خوخ ، أو على الثلوج الطاهرة النقية ، فروحه المولعة الرقيقة ، تعشق الزهور ، والحيوانات ، والناس ، والاشياء ٠

ان فلسفته كلها عطاء وطيبة ، ومحبة ٠

كان بوذيا مستنيرا ومثقفا يفهم بقلبه ، ويجد لكل شيء تفسيرا ، فالفقر بالنسبة اليه ، اعظم كنز ، وهو الوحيد الذي يوحي للشاعر ، بالملامسة الباطنة للطبيعة ، وثروة المسارة العميقة ، وسر الحياة الطاهرة المطهرة ٠

وبقطع النظر عن روحانيته وتصوفه ، فان خاصيته ، ومميزاته الادبية ، بقيت يابانية صرفة : تقشف وزهد في التعبير ، رقة ولطافة في اللمس ، ثم حسن ذوق، بالاضافة الى ذلك الامر الذي لا يمكن ان نعطيه تسمية، وانما هو يشم شما، ويحس احساسا تلك الاناقة الباطنية ، محلاة بذلك الحيـاء الخفي ، تعريض حضارة قديمة رفيعة ٠

ولد « باشو » Basho سنة 1644 بـ « أووينو » Oueno باقليم « ايقا » Iga ، وتصادق منذ صغر سنه مع ابن سيده ، وكان يحبه حبا جما وهو الذي درسه وعلمه الشعر ٠

ولما مات هذا الاخير، يئس «باشو» من الحياة وهجر الناس، وانصرف الى دير بوذي ٠ومنذ ذلك الوقت، بدأ ميله والهامه يتجهان الى الشعر والفلسفة، فذهب الى « إيبدو » Yedo (اي كيوتو Kyoto الحالية) ليصقل مواهبه لدى علمائهـا وادبائها ، ولكن معلمه الوحيد كان الطبيعة ٠

وبـ « إييدو » سكن كوخا حقيرا مبنيا امام شجر الموز ، ومعنى « باشو » Basho باليابانية هو شجر الموز ، وهو اسمه الذي اشتهر به ٠ وذاعت شهرته وانتشرت بسرعة فائقة ، فأصبحت له مدرسة بطلابها ، وحاشية من المعجبين كونت حوله وعاشت في ظله ، « فباشو » اصبح يدرس فن الشعر ، كتعبير مدرك لروح طاهرة ، مع شغف بالبساطة والاخلاص ٠

فالقصائد العلمية ، والاشكال والصور المصطنعة ، والافكار المذبذبة لا تروق له ، فقد كان يقول :

« إن كـل هـذا ليس هايكـاي »٠

فالشعر ، قبل كل شيء ، استعمال بنشوة لتجربة الحياة الصافية بحرارة وهمة وتصوف ٠

وفي سنة 1682 التهمت نيران حريق عظيم جزءا كبيرا من العاصمة ، فتأثر من جديد بمظهر انعدام الاشياء ، والرؤيا الخفيفة العابرة في العالم ، فاخـذ عصاه وراح مسافرا يجوب رحاب بلاده ٠

ولم ينفك عن الانتاج ، بل اخذ يغنى بحرية ، لنفسه لا لغيره ، وليعظم سروره لا ليرتزق بغنائه ، يغنى للطيور ، ولحفيف الحقول ، للقمر والعشب والصخور ٠

كان ينام فى الحانات الحقيرة والحقول والسهول ، او ينزل ضيفا احيانا على بعض الموسرين من هواة الشعر والادب ، ثم يهب عند الفجر ويستمر فى تجواله ، يشبه فى ذلك ، الراهب المتسول الفقير ، ولكن فى القلب منه نشوة ، وفى الهمة سمو ورفعة ٠

كان الهايكاى قبل « باشو » شيئا بسيطا ، فاصبح على يده لونا من الشعر الرقيق ، يصور حب الطبيعة ، وتأثر الفؤاد ، روحه بسيطة رقيقة ، يتأثر مع كل من يتأثر بظروف الزمن ويتلون بانصاف المقامات او ارباع المقامات المنوعة للاشياء ٠

لقد تممت الاسفار واكملت شخصيته ، فأصبح يبحث ــ زيادة عن التفكير ــ عن عمق الفكرة ، ذلك العمق الاعمق ، دون زخرف الكلام وبديع اللفظ ، وبفضل فراره من الناس وكل ما هو مصطنع ، بقى يشعر ويحس مباشرة ولنفسه ، بروح طفل برىء صغير ٠

وعندما يكون الشاعر محتاجا شديد الاحتياج لتصفية تامة شاملة ، فالخطب والقصائد الطويلة تصبح لا تروقه ، لان الكلمات المستعملة هى اقنعة تخفى اشياء كثيرة ، فاقل ما يمكن من اللفظ والكلام ، والراحة والسكون والسكوت ، هو ما يحفظ عذارة القلب وصدق التاثير ٠

ويقال انه فى احد الايام كان بوذا مارا من طريق ، محفوفا بأتباعه ، فراى زهرة جميلة ، فابتسم لها ، وفهم سر هذه الابتسامة ، كل من كان معه ، ولم ينبس أحد ببنت شفة ، ولم يحاولوا الكلام ، لان الكلام يكون عاجزا احيانا عن تصوير شعور او احساس ٠

هل يمكن ان تؤدى ترجمة ما ، جمال الهايكاى ورقته وعمقه ؟

اننا ، لسوء الحظ ، لا يمكن ان نطلب كرامة او معجزة ! يكفينا الاحساس بنفس شعور « باشو » ، فى الظروف التى عاشها ٠

اما اعادة القيمة الموسيقية للنص ، بالنسبة للقارىء اليابانى فهذا مستحيل، لان الهايكاى يغنى بطريقة رتيبة ، ويعاد غناء البيت الواحد ، مرتين لتركيز همة القارىء ، فيقوى التاثير ويعمق ٠

مات « باشو » سنة 1694 فى العقد الخامس من عمره بـ « أوزوكا » Osaka عند صديقه « نيزايمون » Nizaémon وحوله تلامذته الاوفياء ، مات مسافرنا الفقير ، فى هدوء وابتسامة ، مات موتة سهلة ، ناعمة ٠

مات وآخر شيء قام به ، صلاته لالهة الرحمة البوذية ، التى يذكر ، ان رؤيتها وحدها ، تهدىء وتسعد أشقياء جهنم ·

يا فلسفة الطيبة ! انت الحقيقة الانسانية الوحيدة ! بدونك انت ، لا توجد نشوة ، ولا تأثر عميق !

مات « باشو » وترك لنا قصائده الرائعة ، واشياء قليلة : أوانيه التى يستعملها فى الاكل والشرب ، وصورة لبوذا ·

ثم دفن بدير على ضفاف نهر « البيغا » Biwa حيث القمر جميل بديع ·

وبعد موته ، بقى اسمه ، مقرونا الى الابد ، بالشعر ، والحياة البسيطة ، والعفة ، والطيبة ·

وهذه نماذج من الشعر الهايكاى Haika·

I

عند صوت المجداف
وأنين الامواج ···· يثلج قلبى
وفى الليل أبكى

II

البرد قارس
متحدثا ، نائما مع صديق لى
يا له من سرور عميق

III

ظلى متقلص
فوق حصانى
يبدو كأنه قد من الثلج

IV

أيها الغراب الحزين
انهم يكرهونك فى العادة
ولكن كم هو بديع ظهورك
وأنت تعلو الثلوج

V

هـذا المسـاء !
لم يفكـر أحد أن ينـام ، ولـو لحظة
أيهـا القمـر البديـع !

VI

قمـرى البـاهر
ليريـح العيـون
سحابتين أو ثلاثا ، من حين لآخر

VII

قطيـــع !
صـوت التـدرج
حـين نعلـم انـه يأكـل الآفـاعى

VIII

بـدون أغصـان
نبـات البحـر
يعيش بعيـدا ... بعيـدا

محمد عـزيـزة ومحمد المـاجرى

أيام على الضفاف

شعر : محمد المنوبى سعيد

كنت ألقاك يا حبيبة قلبى   فى انتظارى تعطرين الضفافا
فنسوى من الرمال فراشا   ومن الأفق نستمد لحافا
عندما نلتقى ؛ ويحمر خد   وأحس الفؤاد يبدى ارتجافا
عندما نلتقى هناك أصيلا   نتساقى الكؤوس حبا سلافا :
لا نرى غير عالم نحن فيه   فى مدى رحبه بدانا الطوافا
وقصدنا هناك نبعا سخيا   نلهب الخطو مزمعين اغترافا
فرأيناه بعد طول طريق   وبلغناه ممعنين ارتشافا
حيث غبنا عن الوجود زمانا   وصمتنا تهجدا او اعتكافا
فسمونا بحبنا للدرارى   وعلى عرشها أردنا اصطيافا
وأفقنا على دوى انفجار   هو داعى الفراق يأبى التفافا
هل أمنا النوى حبيبة قلبى   وهو من جرع القلوب اعتسافا ؟
بعد ان كنت ارتوى من لقاء   صرت القى من الحياة جفافا

* * *

سرت يوما على الضفاف وحيدا   فتفجرت واعتزمت انصرافا
لأرى كونى المخيف فراغا   وليالى خاليات عجافا
وسيول الشجون تجتاح صدرى   فتعيث السيول فيه انجرافا
والقتاد المهول يغمر دربى   فعلى وخزه طويت الشغافا

* * *

سوف اسلو الضفاف ما طال عمر   ومن الآن لن أرود الضفافا

محمد المنوبى سعيد

نظرية ابن خلدون
في الاقتصاد والعمران

بقلم : محمود طرشونة

كل المسائل التى درسها ابن خلدون فى مقدمته تتعلق بالعمران البشرى بنوعيه البدوى والحضرى · ودراسة العمران جملة تتعلق بدورها بحقيقة التاريخ فى نظر ابن خلدون · فالتاريخ يشمل ، زيادة على التاريخ السياسى (اى ما يتصل بالملوك والعصبيات المتغلبة ···) يشمل وصف وجوه العمران فى البلاد· نجد من بين هذه الوجوه الناحية الاقتصادية · والمفكر التونسى يعلق اهمية شديدة على هذه الناحية ويعتبرها اساسية فى سير التاريخ والحضارة البشرية بصفة عامة ·

وتوضيح نظرية ابن خلدون فى الاقتصاد يتطلب التعريف باوجه الارتزاق المختلفة وبيان علاقتها بكل نوع من انواع العمران واظهار الصلة بين مصير الاقتصاد ومصير الحضارة ·

أوجه الارتزاق :

يحصر ابن خلدون وسائل المعاش فى اربعة وجوه هى « الامارة والفلاحة والتجارة والصناعة »

وهو يعتبر الامارة من اوجه الارتزاق لانها تتمثل فى الجباية وهى حسب تعريفه « **الاخذ من يد الغير وانتزاعه والاقتدار عليه بقانون متعارف** » لذلك لا يعتبرها وسيلة طبيعية للمعاش · وهذا التعريف لا يتعلق الا بمفهوم الجباية فى عصره لان الاموال العائدة للامير من الضرائب كانت تصرف فى حاجيات القصر ومرتبات الوزراء فقط · اما اليوم فقد اصبح مصيرها متعلقا بضروريات الشعب ·

اما الوجه الثانى وهو الفلاحة فله ثلاثة انواع : صيد الحيوان الوحشى وكذلك صيد الاسماك وتربية الحيوان الاهلى من بقر للاستفادة من لبنه ولحمه وانعام للاستفادة بصوفها ودودة الحرير وغير ذلك · والنوع الثالث من انواع

الفلاحة هو القيام على النبات والزرع والشجر وخدمة الارض لاستخراج خيراتها ، وابن خلدون يعتبر الفلاحة وجها طبيعيا للارتزاق لان فيها بذل مجهود وعملا متواصلا ٠

اما الوجه الثالث فهو يتمثل في الصناعة وهي من الاعمال الانسانية ويقسمها ابن خلدون الى قسمين : الصناعة في مواد معينة كالنجارة والجزارة والخياطة والحياكة وغيرها والصناعة في مواد غير معينة وهي جميع الحرف والتصرفات كالصنائع الدينية (القضاء والفتيا والامامة والخطابة والآذان) وكذلك التدريس للعلوم يعتبره ابن خلدون صناعة واذا شئنا ان نقسم هذه الصنائع تقسيما آخر امكن لنا ان نجعلها قسمين : صنائع يدوية وهو نوع بسيط من المعاش لا يتعلق الا بضروريات العيش وصنائع عقلية وهي خدمة الدين والتدريس والغناء وقول الشعر الذي يدر مالا ٠ وهذا النوع الثاني مركب يتعلق بكمالات العيش وهو لا يزدهر الا في الامم المتحضرة ٠

الوجه الاخير من اوجه الارتزاق يتمثل في التجارة وهي الكسب من البضائع بالتقلب بها في البلاد وهو متصل بالصناعات وتقدمها ويحتاج الى اخلاق معينة ٠

الصلة بين الاقتصاد والحضارة :

يعتبر ابن خلدون الفلاحة مذهبا طبيعيا فطريا قديما ٠

وبما ان العمران البدوي اقدم من العمران الحضري فهي تتصل به خاصة ٠ وهي فطرية لانها حسب هذا المؤرخ التونسي «لا تصرف فيها الافكار» اذن هي في نظره لا تحتاج الى علم لذلك ربطها باعمال البدو ٠ والواقع ان هذه الفكرة لم تعد صالحة اليوم لانها تبحث في نوع من الفلاحة بدائي ٠ فاليوم كل شيء يحتاج الى العلم حتى اقدم وجوه الفلاحة وهو الرعي ٠ وابن خلدون يعتبر ان هذا النوع من المعاش لا ينتحله الحضر لانهم مترفون ولان هذه المهنة غير شريفة فصاحبها خاضع للجباية ٠ كذلك هذه الملاحظة نعتبرها اليوم خاطئة لان الفلاحة اصبحت من اشرف الحرف وهي التي ترفع اقتصاديات البلاد ٠

اما الصنائع فكل نوع من نوعيها متصل باحد نوعي العمران ٠ فتلك الصناعات البسيطة ، المتصلة بضروريات العيش تظهر في العمران البدوي اما الصنائع العقلية فهي تتعلق بكمالات العيش اذن بالعمران الحضري ، يقول ابن خلدون : « **اما العمران البدوي او القليل فلا يحتاج من الصنائع الا البسيط خاصة المستعمل في الضروريات من نجار او حداد او خياط او حائك او جزار٠ واذا وجدت هذه فلا توجد فيه كاملة ولا مستجادة** »

والصنف الثانى من الصنائع المركبة الكمالية المتصلة بالافكار « ملكة فى امر عملى فكرى » وهو يحتاج الى العلم الذى لا يتوفر الا لاهل الحضر لانهم مترفون والترف يتطلب صناعات جديدة كالتعليم للعلوم والغناء والوراقة والتجليد ٠ كذلك الصنائع البسيطة الضرورية للمعاش توجد عند اهل الحضر ولكنها عندهم اكثر اتقانا وجودة ومما يؤيد هذا الراى تعريف ابن خلدون للصناعة، « **الصناعة ملكة فى امر عملى فكرى** » « **وهى متأخرة عن الفلاحة لانها مركبة وعلمية تصرف فيها الافكار ٠ ولهذا لا توجد غالبا الا لاهل الحضر الذى هو متاخر عن البدو** »

اما التجارة فهى مثل الصناعة متصلة بالعمران الحضرى وذلك لاسباب متعددة ٠ اهمها ان « **العالى من كل صنف من السلع يختص به اهل الثروة** » واهل الثروة لا يكونون الا حضرا ٠ وهى حسب نظرية ابن خلدون تحتاج الى بعض اخلاق لا توجد الا عند الحضر ٠ فقد عقد المفكر التونسى فصلا يبين فيه الفرق بين البدو والحضر فى الاخلاق وقرر ان اخلاق الحضر نازلة عن اخلاق البدو ٠ وهذه الاخلاق التى تهم التجارة تتمثل فى ممارسة الخصومات واللجاج التى تنقص من المروءة والبدوى ذو انفة ومروءة فلا يرضى بهذه الحال ٠ يقول ابن خلدون : « **التجار اهل الغش والخلابة والفجور فى الاثمان** » وكل هذه اخلاق خاصة بالحضر ٠ والتجارة ايضا تحتاج الى الجاه وهو لا يكون الا بالتملق لدى صاحب الجاه وهذا ما لا يفعله غير الحضرى ٠ اذن فهى مهنة خاصة بالعمران الحضرى ٠

مصير الصنائع ومصير العمران :

نستنتج من التحليل السابق نتائج هامة تتعلق باتصال مصير الصنائع بمصير الحضارة البشرية ٠ فبما ان الصنائع متصلة باهل الحضر فان البدو ابعد الناس عن الصنائع ٠ وبما ان العرب والبربر اعرق الاقوام فى البداوة فهم ابعد الناس عن الصنائع ٠ وعلى ضوء هذه النتيجة نستطيع ان نفسر تقدم العرب فى الصناعات الفكرية كالادب والشعر والتاريخ والفقه وتأخرهم فى الصناعات اليدوية ٠

والرابطة التى توجد بين الصنائع والحضارة تتحكم حتى فى نشأتها « **فهم الناس ما لم تتمدن المدينة الضرورى من المعاش** » وهذا الضرورى يتمثل فى الفلاحة ٠ لكن اذا حصل الترف فان الحاجة الى الكمالات تصبح ضرورة ٠ ولكن الامر يتجاوز النشأة الى الكمال ٠ فعندما تتمدن المدينة ويكمل العمران فان الصنائع **تكمل بكماله** ٠ ثم اذا ازدهرت الحضارة ازدهارا قويا فان الصنائع تزدهر ايضا وتتعدد ويصير الناس يخلقون صناعات جديدة ٠ يقول ابن خلدون : « **وتخرج الصناعات عن الحد اذا ما كان العمران خارجا عن الحد** ٠ »

وهذه النظرية ما تزال صالحة الى عصرنا الحاضر ٠ فانا نلاحظ الامم المتقدمة

كثيرة الصناعات بل هى لم تتقدم الا بفضل الصناعات وتعددها واتقانها كما نلاحظ بان الدول المتخلفة تعاني النقص فى الصناعة وتستورد ضروراتها من غيرها ·

وهناك ملاحظة قيمة جدا يلاحظها ابن خلدون فى الصلة بين الصناعة ونظام الحكم واستقراره السياسى « **تستحكم الصناعات فى الامصار لطول آماد دولها** » فكلما طال الاستقرار السياسى فى بلاد من البلدان كلما ثبتت الصناعات وصارت جيدة · ويضرب مثال الاندلس الذى طال امد دولتها ثمانية قرون فاستحكمت فيها الصناعة وبقيت حتى بعد سقوطها فى يد الاسبان ·

وبما ان الصلة بين الصناعة والحضارة متينة تتعلق بتعددها وجودتها ومدتها فهى تنقرض بانقراضها · وفى هذه النظرية تتلخص كامل نظرية ابن خلدون فى نشأة الحضارات وسقوطها فهى لا تقوم الا على الاقتصاد والمال الذى هو « **متردد بين الحاكم والرعية منه اليها ومنها اليه فاذا حبسه الحاكم فقدته الرعية** » واذا ما نقص المال فقد نقص الترف عند اهل الحضر واذا ما نقص الترف الموجب للصنائع نقصت الصنائع نفسها «**اذا انتقض العمران تناقص فيه الترف ورجع السكان الى الاقتصار على الضرورى**» ومن غريب الامور ان هذا التناقض يكون تدرجا كما نشأت الصنائع تدرجا ايضا من البسيط الى المركب · ويضرب ابن خلدون مثال صناعة الغناء · يقول : « **هذه الصناعة آخر ما يحصل فى العمران من الصنائع لانها كمالية فى غير وظيفة الا وظيفة الفراغ والفرح وهو ايضا اول ما ينقطع من العمران البشرى** » اذن فآخر صناعة تظهر هى اول صناعة تنقرض · ويمكن ان نعكس الامر بالنسبة للبناء · فهو اول صنائع العمران واقدمها اذ بغيره لا تستطيع ان تتمدن المدينة · وهو آخر ما ينقرض لان الآثار تبقى بعد سقوط الحضارة · وهذا الامر ما زلنا نلاحظه الى اليوم · فآثار الحضارة الرومانية ما زالت منتصبة فى بلادنا تشهد لتقدم الحضارة فى ذلك العصر كذلك الآثار الاسلامية ما زالت شاهدة بالازدهار والقوة لبعض فترات النهضة الاسلامية · وما يبنى اليوم فى تونس سيكون شاهدا بعد اجيال على هذه النهضة الشاملة ايضا · ويضرب ابن خلدون مثال التعليم ايضا · فهو احسن شاهد لما كانت عليه حضارة من الحضارات · يقول المفكر التونسى « **كادت هذه الصناعة تنقطع لهذا العهد عن اهل المغرب باختلال عمرانه ··· فالقيروان وقرطبة كانتا حاضرتى المغرب والاندلس واستبحر عمرانهما فرسخ فيهما التعليم لامتداد عصورهما ··· فلما خربتا انقطع التعليم من المغرب الا قليلا كان فى دولة الموحدين فى مراكش** »

فالنتيجة التى نستنتجها من كل ذلك ان الصنائع تزدهر بازدهار العمران وتكمل بكماله وتطول مدتها بطول مدته وتضعف بضعفه وتزول بزواله ·

محمود طرشونة

رحلة الصيف

شعر : رياض المرزوقي

أنا حطمت زماني — أنا مزقت عهودي
أنا حررت كياني — أنا كسرت قيودي

وشققت البحر فجرا
لأرى وردا وجمرا
ألهبا نار وجودي
بشفاه ، بخدود

ثغرها مرفأ رحله — هزه الوهم بقبله
فاذا القرمز شعله — نارها أصداء غله

أنا افردت شراعي — أنا سافرت ألبي
طاف بالحصر ذراعي — فاذا الصيف بقلبي

رياض المرزوقي

67/3/10

دار المعلمين العليا

افريل والذكرى ...

قصة بقلم : سـالم دمـدوم

افريل في الجنوب ليس شهر الاكاذيب والاقاويل... ولكنه شهر احتضار الربيع وبدء الخماسين اللافحة والاعاصير المحملة بالتراب... شهر المناجل ، والسنابل ، والبيادر ، والنوارج ... فأنت في الريف بين اسراب الفلاحين والفلاحات السمر السواعد وقد لـوحت الشمس وجـوههم بلـون البهـار ، انتشروا بين المزارع كالنمل في عناق مع سنابل القمـح والشعيـر لا ينتهي حتى تلملم الشمس آخر اذيالها بين الربى والسهول ...

ما اجمل منظر العذارى الضاحكات يحتضن السنابل ويحلمن بالعرسـان والاعراس في صيف هادىء جميل فيترجمن حلمهن أغاني تذوب حلاوة ولذة وتشيع البهجة والنشاط في نفوس الشبان وسواعدهم فاذا هم من الطـرب والشوق في انبهار وحنين ... وما ارشق منظر الجمال تدور على البيدر تجر النوارج وراءها في هدوء وسكينة واستسلام وما احسن وألذ أغاني الراكب على النورج « بارك فيهم يا رب . يا رب نزل البركات بين ايديهم » أغنيـة « الدارس » في الجنوب . يمد بها صوته في اناة امتداد اعناق الجمال تطأ التبن والحبوب وتجتر في اطمئنان وسكون ...

هذا ما سحرني في قرية صغيرة في الجنوب الشرقي من وطني . صـور رسمت في الذهن مع نعومة الاظفار ولا يزال لها في نفسي صـدى واشعـاع بعيد .. حتى اني استطيع ان أشم رائحة التبن واسمع ثغـاء القطيع وأحس انفاس الجمـال كلما تـداعت الذكريـات وولـت مع المـاضي تنبش الامس البعيد ...

ومع ذلك فلي مع افريل اليوم ذكريات فواحم سود اغتصبت مني دموعـا وزفرات وفعلت باحلامي ما يفعله الجدري بوجوه الملاح !.. كان ذلك في فجر شبابي عندما تلقيت رسالة من أختي « سميرة » طمست حـروفها العبـرات فبدت كما تظهر لنا المنظورات من خلال الدموع : كاسفة حـزينة .. وكانت تنقل الى خبر اشتداد مرض والدي ، وقد تركته في عطلة الربيع يشكو ألـم القلب ورأت في لونه الحائل آنذاك ما يرى في مزارع الشعيـر في افـريل : خضرة ينازعها اليبس وحياة تعانقها الموت ...

« اسرع يا عزيزي فقد لا تدركه حيا .. »

خرجت من منزلى وكانت افكارى ومشاعرى كالجيش الذى وضع فجأة فى حالة فزع : فوضى ، واضطراب ، وارتباك ٠٠

وفى القطار اعدت فتح الرسالة فما رأيت اثار الدموع حتى بكيت ٠٠ لكأنى بالدموع تنتقل بالعدوى كبعض الامراض ٠٠ وجاءت الى الذهن أفكار وافكار ٠٠ كلها قائم يائس حزين ٠٠٠ فكرت فى كل شىء ٠ فى أختى سميرة التى ورثت عن أمى الفقيدة رقة المشاعر ورهافة الحس ، ونحافة العود ، وطيبة الارانب مع جمال قروى حزين كان محل رعاية الوالدة فنما حينا وازدهر فذكرت الحالة التى آلت اليها بموت أمها وكيف نحف عودها وذبل شبابها قبل الاوان ٠ فكيف يا ترى تتحمل المصيبة اذا قدر الله وفقدت النسخة الثانية من كتاب الحنان الخالد ؟ ! ٠ فكرت فى مصير شاب كان بالامس يشيد قصور الامال ويحلم بالعز والمجد فاذا كل ما بنى يخر كما تفعلُ موجة متمردة بقصور غلمان ٠٠٠ فكرت فى المسؤولية التى يجب ان احملها على غير هدى او حنكة فتصورت ان الحياة اصبحت جحيما لا يطاق ٠٠ وسميرة أختى ؟ ! بنت تلزمها أم لترعى شبابها وتهدهد احلامها برفق وتكبح جموحها ، ان كان ، ببلاسم العطف والحنان !٠٠ ومن للبنت غير الام قسيس محبوب تعترف له بكوامن النفس فى صدق ورجاء ؟ ! لو كانت ولدا لعبرنا الحياة كما شاءت الايام ولأدلينا بدلونا فيها على وجه من الوجوه أما وهى بنت فكن لها يا رب !٠٠

فى عشية اليوم التالى كنت بالقرية فقصدت سانيتنا وكنت كمن يتفقد أخا له فى خطوط النار بعد سكون معركة ضارية ٠ ان وجده فعلى احسن الفروض كسيرا أو جريحا ٠٠ وراعنى الصمت المسيطر على بيتنا فقلت : لعله شفى ، يا رب اجعل مرضه كذبة افريل !٠ وفى الحياة حوادث نستكثر خطرها فنحاول ابعادها حتى بالاوهام والاكاذيب ! لكن هل تدفع الاوهام اقدارا ؟ !٠٠٠

عندما دخلت الدار كانت سميرة اول من رآنى فهاجت شجونها واخذت تقضقضها العبرات والشهيق ، فتركتها الى الوالد فلما رآنى حاول ان يجلس فى سريره فلم يستطع فارتد الى الخلف وفى اليد رعشة وفى العيون دموع ، وكلمات ترحيب فقدت قوة الصوت فبقيت على الشفاه سرا مكتوما ٠٠٠ ملت اليه اقبل جبينه فأخذ يدى وأشار الى سميرة فأخذ يدها ووضعها على قلبه ضاغطا عليهما بعزمه المكدود ، ثم اخذ يجيل البصر بينى وبينها كأنه يريد ان يقول كلاما حين استعصى عليه الكلام ٠ وعرفت انه يوصينى بأختى خيرا ويحملنى مسؤولية لم تمهله الاقدار حتى يفى بها ٠٠ هكذا فهمت منه وكثيرا ما تتفاهم النفوس بالرمز والايحاء اذا غاب الكلام ، وهالنى أن رأيت أبى يودع الدنيا ومشاكلها فاحسست بانه لم يعد من أهل الحياة ، وطفرت من عينيه دموع اسالت عبراتى وحركت فى نفسى هوامد السنين ٠٠٠ فحاولت

ان أكلمه فلم يجب الا بحشرجة اهتز لها بدنه كله كانت آخر حركة يقوم بها في الحياة ...

لا تسلني ماذا فعلت سميرة صاحبة الحساسية المرهفة والشعور الرقيق فأنت ادرى بما فعلت !. الطائر الذى يفقد الجناح الثانى لا يفر ، لا بد له ان يذوب حسرات فى مسرح الفجيعة ...

فى اليوم الثانى من هذه الحوادث كنت كالربان الغر وقد دفعت العاصفة بزورقه المكدود الى جزيرة بعيدة فهو لا بد ان يتفقد الالواح المرضوضة والحبال المجهدة والشراع المهزوم قبل ان يواصل صراع الموج ، وكانت رياح ماى تلفح الوجوه بهجير الصحارى وتثير الغبار والرمال فى زوابع ثائرة رعناء والنخل مرسل لها سعفه فى صبر المستسلم الى الاقدار ، وكان البئر الذى يسقى منه أبى مزروعاته رابضا فى ركن السانية الجنوبى تدلى من دولابه دلو كبير عبثت به الريح فاحدث فى الدولاب صريرا متناوحا خلت يومها انه يندب به الراحل العزيز .. وشجيرات الرمان المصطفه فى تعاطف أخوى والتى كان أبى ينام تحتها تدلت منها ثمار كعهدى بها ، ولكن ما لها اليوم تخدش الارض بذوائب اغصانها كأنها تخط لحودا ؟ ! ثم سرت نحو جملنا البارك تحت النخلة « الحمورى » فوجدت على مآقيه ترابا تجمع مع الدموع فخلت انه يبكى فى صبر وسكون ، وكان سعف النخلة تعزف عليه الريح لحنا كاسفا حزينا كأن هذه النخلة تندب الماضى بما فيه من مسرات واحزان .. فذكرنى ذلك عهد صبى ولى الى غير رجعة والفا فرقت بينى وبينه الايام ترى اين أنت يا رفيق الطفولة اليوم ؟. ماذا فعلت بك الايام ؟. اتراك تذكر هذه النخلة ؟ اتذكر يوم نصبنا تحتها فخا لهدهد وقع فيه اسيرا ؟ أما قلت يومها : ان البحث عن الكنوز دائما وخيم العواقب وهكذا وقع للهدهد الباحث عن كنوز سليمان ؟..

معذرة يا صديقى فقد تداعت افكارى ونحن فى لحظات الحزن كثيرا ما نذكر ايام الهناء والسرور كأن غريزة الفعل ورد فينا لا يفقدها الهم قانونها ـ شردت ببصرى وانا واقف بجانب الجمل فظهرت لى السانية كلها بنخلاتها العجاف وزيتوناتها المسنة وشجيرات التين واللوز كأنها فى مناحة كبرى تتمايل مع الريح كما يتمايل القراء بالاذكار فى موكب الجنازة ...

اسندت ظهرى الى جذع النخلة افكر فى مصابى واحاول ان ارسم خطوط المستقبل الغائم فلاحت لى احلامى وامالى ـ كما قلت لك ـ كوجه مليحة عبث به مرض الجدرى فلم يترك من ملاحته الا اطلالا ... لم يبق لى على موعد امتحان انتهاء الدروس الثانوية غير ايام قلائل ، ولم تترك لى الحياة سندا اترك عنده أختى سميرة التى هى آخر حبة فى عنقود اسرتى الصغيرة فلمن اتركها يا ترى ؟. اعند جارنا محمود ؟ ! هلا أخاف عليها غدر الايام ؟ وهل

ترضى هي بذلك على كرهها لابنه الذى كثيرا ما شكت لى سوء سلوكه ؟٠٠ اين اتركها اذن ؟ ٠ كانت هذه اول مشكلة عاجلة طرحتها على الحياة ، فانا يجب ان اشارك فى الامتحان مهما كانت الظروف والا وجدت الحياة ثغرة اخرى تشن منها على الهجوم ٠٠

بعد لاى قررت ان أترك أختى عند مدير مدرستها وهو شيخ طيب على ابواب التقاعد من اصدقاء الوالد له بنات يحببن سميرة وتحبهن خصوصا وقد عرض على ذلك مشكورا وهو أب لبنات يعرف الشرف ويذود عنه ٠٠٠

فى اليوم التالى كنت اطبع على جبين أختى قبلة وداع حسبته سهلا ميسورا ، فما راعنى الا تشبثها بى شأن الغريق مع آخر لوح من الزورق الذى عبث به الموج فهوى حطام ، فتحايلت حتى اذا جاء الهزيع الاخير من الليل كنت اكفكف عبرة بمنديلى فى الظلام واقارن بين هذه السفرة والسفرات السابقة فوجدت نفسى هذه المرة كالجندى الذى يتقدم فى صفوف الاعداء وليس بيده بندقية واحدة تحميه !٠٠

وصلت العاصمة فانكببت على دروسى بهمة من له مع الحياة ثأر وان كنت أشرد بذهنى احيانا بعيدا عن الدرس والكتاب لأعود الى القرية واحداثها ، ودخلت الامتحان ولعلك تسأل عن النتيجة فهى كما تحب انت !٠ فمن ميزات الانسان انه يتحالف مع أخيه الانسان ازاء الهم والالم فقد نجحت ونجحت !٠ من هى ؟٠ انت تعرف من بقى لى فى الحياة اهتم بشؤونه : سميرة نجحت هى الاخرى واخذت الشهادة فى هذه السنة فصب ذلك على جروحى بعض البلاسم وان كان النجاح نفسه قد فقد عندى كثيرا من معانيه ، فاين منى زغاريد الأم وفرحتها العارمة واين بسمة الوالد الرصينة ونظرته المستبشرة الى أمى كأنه يقول لها فى كبرياء : أرأيت ماذا انجب الفلاح الفقير وزوجته النحيفة ؟ ٠ شىء واحد ، بقى لى : هدايا سميرة المتواضعة يمكن ان اظفر بها ولكن من اين تأتيها الهدايا بعد ما دفنت صندوق كنزها الثمين ؟٠ ما اشبهنى الآن بالقائد الذى يكتشف بعد ان يكسب المعركة انه لم يبق من فيالقه غير جندى أصم فلمن يحكى قصة الفوز ومع من يحتفل بالانتصار ؟٠٠

قررت قبل الرجوع الى القرية ان اقوم بجولة فى انحاء العاصمة وضواحيها لاودع كل البقاع التى شهدت التلميذ الريفى ينزوى بكتابه ويستعد للامتحانات لانى اشعر بان تلك البقاع عزيزة على شاركتنى ايام المحنة فى نضالى مع الحياة ٠٠ قصدت حديقة البلفدير وعند خميلة فى جنوبها تقوم بجانبها نخلة عقور جلست اسمع الاصوات التى كانت تطربنى وأنا التهم الصفحات ، العصافير ماضية فى صخبها المسحور كعهدى بها ٠ والنسيم يوقع الحانه على الاغصان فتتمايل تيها كأنما تعابث اسراب الفراش الحائم حولها فى نزق ٠ وتذكرت انى فى يوم من الايام اخذت معى رسالة من والدى

يخبرنى فيها عن الزرع والزيتون وان العام عـام خيـر وبركـات وتـداعت الذكريات فوجدتنى غارقا فى لجج الذكرى عندما انتبهت على صوت نسوى رقيق : « أتبكى يا (٠٠٠) انك نجحت ٠٠ هاك الجريدة ٠٠ » ورفعت بصرى فاذا بى حيال صديقتى وداد رفيقتى فى الدراسة وشريكتى فى المقعد فعز على ان ترى دموعى فكفكفتها وجمعت اطراف شجاعتى وقلت : اهلا وداد ٠ كيف الحال ٠٠ مبروك ألم أقل لك ؟٠ اين الرهان !

ـ وانت أيضا ٠٠ معذرة فقد حيرتنى دموعك ٠٠ اتبكى وقـد نجحت ؟ زغاريد فى مأتم وبكاء فى افراح ٠ عهدى بك صاحب ذوق فنى رفيـع فكيف هـذا ؟٠

ـ لا يا وداد أنا ما بكيت من اجل الامتحـان ٠ لكنى حـزين بما ضمت عليه جوانح صدرى ٠٠

ـ انى اراك تخفى عنى سرا منذ عطلة الربيع ! قل بالله ما بك !٠

ـ ها أنت قد لمست موضع الداء يا وداد ٠ أنا منذ عطلة الـربيع أعـانى مصائب وهموما ٠

ـ أحك لى كل شىء أنا صديقتك ٠٠ أنا وداد ٠٠ أتنسى ؟٠

وقصصت على وداد كل قصتى وكانت رقيقة المشاعر ولى فى قلبهـا مكان فبكت لمصابى وبكيت أنا لبكائها ـ لا تعتب على يا صديقى فأنا كما قلت لك تعدينى الدموع وتهيجنى العبرات حتى فى حالاتى العادية فكيف وأنا يتيـم ألقت به المدرسة على ابواب الحياة وحيدا ـ وتعانقنا فى بكاء وذقنا من قبلتنا الاولى طعم الدموع نفس الطعم الذى كان لقبلة أختى عندما كانت تبلل خدها العبرات ٠٠ ثم قمنا فتمشينا فى الحديقة وتواعدنا على تحقيق حلم بعيد ٠٠

رجعت الى القرية فاذا كل شىء فى سانيتنا هادىء ساكن فى وحشة الموت وصمت القبور : النخـلات العجاف التى حدثتك عنها ، والزيتونـات المسنة وشجيرات الرمان واللوز والتين كلهـا استسلمت لقيظ الصيف ولفـح الهواجر ٠ فقضيت اجازة الصيف مع أختى هناك حتى اخذت سحب ايلـول ورياحه المتناوحة تذكرنى بشد الحقائب فقررت الرحيل وتذكرت اعزاء رحلوا عن هذه الديار الى غير رجعة ٠٠ تذكرت قبلات أمى ودموعها التى تودعنى بها فى كل خريف ٠٠ تذكرت المنشفة التى كانت تخبىء لى فيها كل ما جمعته من دراهـم البيض والدجـاج ٠ ودعـواتها لى بالحفظ والستر والنجاح تذكـرت جلستى مع الوالد يمد لى يده بالنقود قائلا : هل يكفى هذا ؟ فأخذت اكـرر وحدى : يكفى يا بابا ٠ يكفى فقد اوصلتنى الى مسافة استطيع معها ان ادرك

ساحل النجاة فى امان ·· وكانت سميرة تجمع متاعها هى الاخرى وكلما نظرت اليها وجدت شفاهها ترتجف كأنها تغالب بكاء يهاجمها فى الحاح ···

غادرنا القرية يا صديقى وجئنا العاصمة فاشتغلت أنا موظفا صغيرا وفرت لأختى ولى العيش الشريف وضربنا فى الحياة بمناكبنا كما يضرب الآخرون حينا من الزمن ذقنا فيه حلو الحياة ومرها ·· غير ان الايام التى شردت شملنا وقست علينا صغارا عادت فضمت الى شملنا شخصين عزيزين على ما كنت احسب ان الحياة على قساوتها تجمعنى بواحد · فكيف بالاثنين ؟ اظنك تعرفهما ؟ أنسيت وداد ··· وصديق طفولتى اما حدثتك عنه · عادت الحياة فجمعتنا الاربعة · كنا اشتاتا وخلانا · فاصبحنا اليوم ازواجا وعرسانا ·· هل رأيت الآن ماذا تفعل بنا الحياة ؟ وماذا تحقق من احلامنا الغوالى ؟··

سالم دمدوم

ـ بنقردان ـ

في ترجمة الكتب العلمية الى اللغة العربية

بقلم : علي عارف

ان للعلم فى عصرنا مكانة الصدارة بين مختلف فنون المعرفة فعليه تقوم حياتنا اليومية وبه تتجدد فاذا كان القرن العشرون عصر الذرة ـ وقد يصبح فى مستقبل قريب عصر القمر ـ فانه فى ايجاز عصر العلم ٠

وليس من الغريب أن يقاس مدى تقدم الامم بمدى تقدم العلم فيها وازدهارها بمدى ازدهار شتى فنونه فالعلوم أصبحت تؤثر فى حياة الشعوب تأثيرا كبيرا وتسيطر على اقتصادها وسياستها وهما بدورهما يسيطران على العلاقات الاقتصادية الدولية فالدول الضعيفة هى التى لم يستطع علماؤها أن يجابهوا سباق التصنع والدول القوية هى التى استطاع علماؤها أن يدخلوا السباق بفكر خلاق ٠

فأين نحن من هذا السباق ؟

ليس لنا إلا الاعتراف بعزلتنا الخائبة فنحن عالة على الامم المتقدمة فى هذا الميدان ولا عيب فى ذلك فنحن فى ابتداء إفاقة من سبات طويل وأملنا ألا يصيبنا ما أصاب أهل الكهف وألا نشعر بالغربة فى الوضع العالمى إلا لنحاول فى جد الخروج منها فى ثبات ٠

إن المسافة التى تفصل بيننا وبين الغرب فى الميادين العلمية تكاد تكون نفس المسافة التى كانت تفصل بينه وبيننا فى أوج تفتحنا الثقافى فى العصر العباسى ٠ فكيف نستطيع قطع تلك المسافة أو التنقيص منها ؟

إن الجواب عن هذا السؤال يبدو بسيطا : لا بد لنا من اعطاء العلوم حقها فى مختلف مراحل تعليمنا إلا أن سؤالا ثانيا ينتج عن هذا الجواب هو : أى لغة نستعمل لتدريسها ؟ ٠ وهنا يكمن المشكل ٠

فاللغة العربية ٠ وإن كانت غنية إلى حد الترف فى الأدب ـ فهى تشكو فقرا مدقعا فى الكلمات العلمية فهل نتركها جانبا ونتخذ لنا مبدأ ازدواجية اللغة حتى نخرج من المأزق الذى وضعتنا فيه أو وضعناها فيه ؟ أم نحاول جعلها لغة علم ؟

ليس لنا إلا أن نختار بين هذين الحلين إذ لا وجود لثالث لهما ٠ ولنا حرية التفضيل ٠

إن الحل الاول ــ ازدواجية اللغة ــ يفرض علينا اختيار لغة أجنبية لتدريس العلوم • وليس لأى بلد عربى فى الواقع حرية فى هذا الاختيار إذ أن البلدان العربية كانت خاضعة سياسيا إلى دول غربية متعددة فرضت عليها لغاتها فاذا كانت الانكليزية مستعملة فى بث العلوم فى الشرق العربى فان الفرنسية أقرب الى القيام بهذه المهمة فى المغرب العربى •

وهكذا نكون قد اختصرنا الطريق وربحنا المرحلة الاولى فى السباق مع الزمن إذ تبقى المسافة التى تفصلنا زمنيا عن ركب الحضارة الغربية مقتصرة على تكوين علماء عرب يستطيعون الوقوف عن جدارة الى جنب زملائهم الغربيين فى مستقبل قريب او بعيد ــ والقرب او البعد فى إمكانية اعطائهم المنزلة الجديرة كى ينتجوا إنتاجا محترما •

ونكون قد استرحنا فى آن واحد من مشقة خلق لغة علمية ووفرنا لأنفسنا شيئا من الطاقة نصرفه فى عمل آخر مجد ولكننا نخسر شيئا هاما ــ إذا اتخذنا اللغة أداة تقارب متين بين البلدان العربية على تعدد نزعاتها السياسية ــ وهو وحدة اللغة •

ثم إننا نكلف أطفالنا مشقة كبيرة فى استيعاب لغة ثانية استيعابا كاملا لا بد منه للتمكن منها زيادة على التعب الذى يلاقونه فى تعلم لغتهم القومية لبعدها عن لغة التخاطب اليومى فى المنزل والشارع •

فهل يصبح الحل الثانى أخف مؤونة ؟ وهل فى الامكان تطوير العربية تطويرا يجعلها قادرة على أداء المعانى العلمية ؟

ليس من الضرورة التنبيه الى الصعوبات التى تعترض من يفضل هذا الحل فهى عديدة • وقد يصبح معترض : كيف يمكن وضع آلاف المصطلحات واستيعابها دفعة واحدة ؟• وليس من الصعب الاجابة عن هذا السؤال وقد أمكن للعبرية أن تصبح لغة علم فى بلادها وهى الميتة •

نعم إن وضع المصطلح العلمى ليس بالأمر الهين إذ يجب أن يراعى فيه فى نظرى أمران فى آن واحد : **أولا ــ** أن يؤدى المعنى المرجو دون أى التباس • **ثانيا ــ** أن يكون سهل التداول •

ولا بد للاشتقاق من المحافظة على الصيغة العربية الأصيلة ما أمكن ذلك •

وليس معنى هذا أن يكون كل مصطلح من أصل عربى فقد تعددت العلوم وهى المتطورة بسرعة فائقة• وهل من حرج فى أن نعرب ــ نطقا ــ المصطلحات العلمية التى نجدها فى الانكليزية والفرنسية والروسية والألمانية مثلا مع اختلاف بسيط فى النطق تدل على نفس المعنى ؟

إن الصعوبة الناتجة عن ذلك تصبح فى دفع تلك المصطلحات الى السوق

قصد الاستهلاك ولكنها تقابل المشقة التي يلاقيها المتعلم في الالمام بلغة أجنبية ·

وإذا نحن ثبتنا لهذه الصعوبات فاننا نربح أمرا هاما هو العمل على إحياء اللغة العربية فلا بد من الاعتراف بأنها ميتة تقف عند العرب ولا تتجاوز حدودهم خلافا للانكليزية مثلا وهي اللغة الحية الاولى بين اللغات ·

إن استعمال العربية في العلوم من شأنه أن يزيد في رسوخها عند الناشئة ثم هي إذا أمكن لها أن تكون أداة لتعليم العلوم ستستطيع في مستقبل قريب أو بعيد أن تتجاوز حدودها الضيقة لتجد صدى في الخارج نتيجة للضرورة التي يجدها أهل العلم الأجانب في الاطلاع على آثار زملائهم العرب ·

وليس معنى هذا أني أنفي ضرورة تعليم اللغات الأجنبية إذ أنه لا مناص للباحث الجاد من الالمام بها حتى يتمكن من الاطلاع في يسر على انتاج الاجانب ومن تلقيح أفكاره بأفكارهم ولست في هذا الفصل مدافعا عن الحل الاول أو الثاني ·

ورأيي أن المشكل في الحل الأخير ليس في ترويج المصطلحات الجديدة بقدر ما هو في الترجمة عن اللغات الاجنبية ومحافظة منا على وحدة اللغة لا يمكن أن يكون هذا العمل مجهودا شخصيا في نطاق ضيق محدود · فنحن نعرف أن محاولات في تعريب العلوم جربت في عدة بلدان عربية وكانت النتيجة أن تعددت المصطلحات المستعملة للدلالة على معنى واحد ، على الصعيد العربي وعلى الصعيد الاقليمي والخطر كل الخطر الا يكون وضع المصطلح العلمي مخططا تخطيطا محكما حتى لا يحدث تشويش في أفكار الناشئة المتعلمة عندما تتغير الاساتذة · ومن أجل ذلك يتحتم علينا ضبط المصطلحات العلمية في مجلس أعلى يقوم بتوحيدها ·

إن الترجمة تتطلب مجهودا جبارا وثباتا في وجه الصعوبات التي توهن عزم العاملين ولا بد لنا من تشجيع كل عامل في هذا الميدان إذا ما فضلنا هذا الحل ·

فأنا أذكر أني كنت لا أتصور إمكانية تدريس العلوم باللغة العربية وكنت أظن أن ذلك يؤدي كل محاولة الى الفشل · حتى سنحت لي الفرصة أخيرا أن أطلع على أثر علمي مترجم ·

هذا الأثر ورد علينا في شهر فيفري الفارط من سوريا هدية من المجلس الاعلى للعلوم بها وجد مكانه في المكتبة الداخلية لمخابر الفيزياء والكيمياء بدار المعلمين العليا ·

وهو ترجمة لجزئين من الموسوعة العلمية الفرنسية « الفيزياء العامة

والتجريبية » المحتوية على تسعة أجزاء ، والتى حررها P. Fleury الاستاذ بكنسرفتوار الفنون والصناعات ومدير معهد البصريات التطبيقية بباريس و J.P. Mathieu الاستاذ بجامعة باريس · قام بها أربعة سوريين من ذوى الاختصاص هم المهندس وجيه السمان والدكاترة أدهم السمان وعبد الرزاق قدورة وواثق شهيد ·

صدرت هذه الترجمة فى مطبوعات المجلس الاعلى للعلوم بسوريا سنة 1964 فى كتابين يحتوى كل منهما على جزئين · وقد تعرض الكتاب الاول الى الكهربية الراكدة والتيارات المتواصلة والمغناطيسية (Electrostatique - courants continus - magnétisme) وتعرض الثانى الى التيارات المتناوبة والامواج الهرتزية (courants alternatifs et ondes hertziennes)

وجاء فى مقدمة هذه الاجزاء : « تفتقر المكتبة العلمية العربية الى المراجع التى تقوم الى جانب الكتب الجامعية المقررة ، بدور المنبع الذى يستمد منه طالب العلم تكميل معلوماته وكمصدر كامل للباحث كما يستمد منه كل مراجع ما يحتاج اليه من معلومات قد لا توجد فى الكتب العادية التى تؤلف وفق برنامج معين محدود ··· ولما كان من اختصاص المجلس الاعلى للعلوم فى هذا المجال ، العمل على تزويد المكتبة العربية بالمراجع العلمية باللغة العربية ووضع الخطط اللازمة لذلك فقد اختط لنفسه خطة يقوم فيها بقسطه فى المساهمة فى ايجاد هذه المراجع للقارىء العلمى العربى وابتدأ بعلم الفيزياء ··· وسارت عملية الترجمة بعد الاتفاق على المصطلحات واعداد قائمة بها وستنشر إن شاء الله فى آخر بحث الكهرباء وكان المترجمون يعقدون الاجتماعات بين حين وآخر للتداول فى أمر الصعوبات التى يصادفها كل واحد منهم فيعمل الجميع على حلها مشتركين ··· »

ولا غرابة فى أن يخرج مثل هذا العمل فى سوريا فقد سمعنا عنها أن التعليم فيها معرب فى كامل مراحله · إلا أننا لا نستطيع أن نقيم مقدار نجاح هذا التعريب من حيث المستوى ·

تصفحت هذين الكتابين هازئا بادىء الأمر وقد درست العلوم بالفرنسية فما كان إلا أن انقلبت مستبشرا فرحا لأمر بسيط هو أنى لم أجد صعوبة فى فهم ما قرأت وتيقنت حينئذ أن فى الامكان تعريب العلوم وليس من الصعب فهم المصطلحات الموضوعة لدى من كانت له ثقافة علمية فى لغة أجنبية ·

وقد اتبع المترجمون فى عملهم ثلاثة مناهج :

1) التركيب : وتجد ذلك مثلا فى كلمة « الكهرضوئية » التى جاءت ترجمة للكلمة الفرنسية «Photoélectricité» وهى الكهربية الناتجة عن الطاقة الضوئية · وهى لعمرى ترجمة موفقة ·

2) الاشتقاق ·

3) القولبة : وتجد ذلك مثلا فى كلمة « الكترون » التى جاءت ترجمة للكلمة الفرنسية «électron» ولا فائدة فى أن نعدد الامثلة ·

إن هذه الطرق هى التى أراها صالحة إذا وقع اختيارنا على الحل الثانى ·

وقد رأى المترجمون استعمال الحروف اللاتينية واليونانية فى المعادلات الرياضية وهو رأى مقبول إذ أنها اصبحت عالمية تجدها فى الكتب العلمية الصينية والفرنسية والانكليزية والروسية واليابانية وغيرها ·

إلا أننا مهما كان إعجابنا بهذا العمل لا نستطيع أن نسكت عن بعض الهنات فاختيار الحروف اللاتينية واليونانية فى المعادلات كان لا شك مرتكزا على رواجها العالمى فى هذا الميدان فما دمنا نراعى ذلك لماذا فضل المترجمون استعمال الاعداد الهندية فى ترقيم الصفحات والمعادلات واستعمال الاعداد العربية فى المعادلات نفسها · إنه تناقض كان فى الامكان تلافيه لو روعى رواج الاعداد الاخيرة على الصعيد العالمى ؟

لى كل ليس لنا إلا أن نقدر فى نزاهة المجهود الذى بذله المجلس الاعلى للعلوم وعسانا نراه يصدر فى وقت قريب بقية اجزاء الموسوعة الفرنسية وقائمة المصطلحات المستعملة التى وعد بها حتى نتمكن من دراستها دراسة واسعة · وأملى أن يطلع عدد كبير من العلميين فى البلدان العربية على هذا العمل فهو تجربة قد يكون حظها من النجاح وافرا ·

على عارف

مخابر دار المعلمين العليا

ـ تونس ـ

مطالعات

« التجربة التونسية الخاصة بتنظيم النسل »

أطروحة الدكتور عبد العزيز الغشام

تقديم : أحمد خالد

قدم الدكتور عبد العزيز الغشام فى المدة الاخيرة الى هيأة جامعية متركبة من رئيسها الاستاذ Jean Planques ومن الاساتذة Auvergnat و Montastruc و Espano و J. Ruffie أطروحة قيمة لنيل الدكتورا فى الطب من جامعة « تولوز » • وان هذه الاطروحة المستمدة من الواقع التونسى ومن البرنامج التجريبى لتنظيم النسل واخضاعه للعقل ببلادنا لجديرة بالتعريف • وقد راينا من المفيد للمواطنين المهتمين بهذا الموضوع مدهم بخلاصة هذه الاطروحة العلمية التى نشرت بمطبعة « فوتيى » Vauthier بتولوز وعرف بها « اندرى بيدى » (André Bidet) يوم 17 مارس 1967 فى « البوبيلار » وهى الصحيفة الباريسية الناطقة بلسان الحزب الاشتراكى الفرنسى ونحن اذ نبارك هذا العمل العلمى نتمنى لصاحبه مدير دار تونس بباريس حاليا المزيد من التوفيق فى مهنته وبحوثه الطبية •

يقول الدكتور : لقد اصبحت مشاكل الوقاية من الحمل موضوع بحث فى جميع الاقطار منذ بضع سنوات • ولئن كانت المسألة متأكدة بالنسبة للبلدان السائرة فى طريق النمو حيث يتزايد النسل بصفة مهولة ، فهى لا تقل تأكدا فى البلدان النامية وذلك باعتبار اسباب فنية وخلقية •

اما فى تونس فان هذه المسألة تندرج قبل كل شىء فى نطاق سياسة تحرير المراة وترقيتها • وان الحمل المقصود والمرغوب فيه لهو نتيجة منطقية لهذه السياسة •

فقبل سنة 1956 كان التشريع التونسى الخاص بالوقاية من الحمل صورة من التشريع الفرنسى • وعلى غرار المشرع الفرنسى قد سار المشرع التونسى فى تحجير الدعاية الحاثة على التعقيم المراقب وبيع العقاقير والالتجاء الى الوسائل التى من شأنها تجنب الولادة ، وذلك بأمر مؤرخ فى 18 سبتمبر 1920 • وقد اتخذت تدابير اخرى تشريعية لتشجيع الـولادات منها المنح

العائلية المخصصة لجميع الابناء مهما كان عددهم · ويضاف الى تلك التدابير المشجعة على الولادة مفعول الزواج المبكر وتعدد الزوجات اللذان دخلا فى التقاليد · ومنذ سنة 1956 صدرت قوانين مختلفة تهدف كلها الى تحرير المرأة التونسية اذ منع تعدد الزوجات واخرت السن القانونية الخاصة بالزوجين ·

وصدر بتاريخ 9 جانفى 1961 قانون يبيح للاطباء والصيادلة تعيين المواد الواقية من الحمل وبيعها ·

وبهذه التدابير قصد المشرع التونسى اخضاع التناسل للعقل ومكن المرأة التونسية من اجتناب كل حمل غير مرغوب فيه · ويستطيع كل زوجين اتخاذ الطريقة التى يختارها لتنظيم الولادات وابعادها عن بعضها البعض حتى يتوفر لكل مولود جميع امكانيات الصحة والامن · وينضاف الى هذا الحرص على انصاف المراة التونسية الشعور بالحاجة لكبح الولادة الفوضاوية الجامحة التى قد تلحق بالنمو الاقتصادى والاجتماعى لتونس ضيرا شديدا · ومن اجل هذا اجرت الحكومة التونسية منذ سنة 1962 اتصالات مع هيئات من المواطنيـــن ومؤسسة «فورد» لضبط برنامج تجريبى خاص بتنظيم النسل فى البلاد التونسية، مسخرة فى ذلك عدة طرق واقية من الحمل لاكتشاف طريقة تكون انجع وانسب وابعد عن الاضرار ، وبالاختصار الطريقة التى تكون اكثر ملاءمة لواقع المرأة التونسية ·

وان البرنامج التجريبى الذى دام سنتين قد احكم اعداده؛ وقام وفد متركب من اطباء ومولدات ومرشدات برحلة دراسية قد استغرقت ستة اسابيع الى الولايات المتحدة واليابان والباكستان حيث يجرى العمل بعدة طرق واقية من الحمل ، ونظمت بالبلاد التونسية ندوات وملتقيات شارك فيها ثلة من جلة الاساتذة لدراسة الوقاية من الحمل ؛ وقامت الصحافة والاذاعة بحملة قومية داعية الى تنظيم النسل · ويجدر بنا ها هنا الاشارة الى الدور الحاسم الذى لعبته فى تعليل هذا الامر مواقف رئيس الدولة الحبيب بورقيبة الذى خصص له خطابا هاما ·

وعلى الصعيد النفسانى يمكن القطع بعدم وجود اى رد فعل دينى مناهض للوقاية من الحمل اذ ان التشريع الاسلامى يندمج فى القانون المشترك ويقـع تطبيقه بجهاز عدلى ذى هيكل عصرى · وذهبت العدالة التونسية فى اهتمامها بهذا الامر الى اختياره موضوع الخطاب الافتتاحى للسنة العدلية لعام 1963 ·

وقد انطلقت المرحلة التجريبية لهذا البرنامج من المصحات فسخر لهذا الصدد فى جوان 1964 اثنى عشر مركزا لوقاية الام والطفل وقع اختيارها من بين المراكز الحضرية وشبه الريفية ، وكانت منتشرة على تراب الجمهورية فى مناطق مختلفة من حيث الاقتصاد وكثافة السكان حتى تمثل نماذج لجملة البلاد· ففى مراكز تنظيم النسل يمكن اختيار احدى هاته الطرق المختلفة : الحواجز

الآلية (condoms) والحواجز الكمياوية (gelées vaginales, aérosols) والاقراص (pilules) والاجهزة المركزة فى الرحم (appareils intra-utérins) وكلها جعلت تحت تصرف بعض المستشفيات الكبيرة لتجربتها • ولكن الاهتمام الذى اثاره هذا البرنامج لدى الجمهور قد شجع الادارة على مضاعفة مصالح تنظيم النسل وتعميم الوقاية من الحمل بواسطة الاجهزة المركزة فى الرحم وذلك قبل انتهاء المرحلة التجريبية بسنتين • واحدثت فى جميع مصالح التوليد بالمستشفيات وفى بعض مراكز تنظيم النسل المجهزة على احسن ما يرام اقسام يقع فيها تركيز المعقف البلاستيكى (stérilet)

وانتهت المرحلة التجريبية للبرنامج فى افريل 1966 واستغرقت اذن ثلاثة وعشرين شهرا ؛ وبلغ عدد مراكز تنظيم النسل فى تلك المدة تسعة وثلاثين وعدد النساء اللاتى توجهن الى تلك المراكز 27،762 ؛ وقد فحصن فى الجملة 66،574 مرة • ومن بينهن اختارت 18،522 امراة طريقة الوقاية من الحمل بواسطة تركيز الجهاز البلاستيكى فى الرحم •

ولنلاحظ بادىء ذى بدء ان الجهاز المولع الذى مال اليه الجمهور واختاره الاطباء التونسيون هو معقف « ليبس » من نوع س المعروف بالسكوبيدو عند الجماهير الشعبية • (La boucle de Lippes, dimension C)

وقد اجتزأنا بدراسة نتائج مركزين من مراكز تنظيم النسل ملحقين بمستشفيين هامين بتونس العاصمة ، مستشفى « شارل نيكول » ومستشفى « الحبيب ثامر » • وكانت جملة عمليات الايلاج فى مدة الدراسة 1530 وذلك باعتبار 10.595 شهرا من الاستعمال • ومن بين عدد من النسوة قد بلغ 1530 ــ وهن حاملات المعقف ــ هناك 208 لم يعثر لهن على خبر •

وفى غضون تلك المدة ، وبالنسبة للمركزين المنظور فيهما لوحظ ان خمس عشرة امراة فوجئن بالحمل • ومن ناحية اخرى فان تسعا وتسعين امراة قد فقدن بصفة تلقائية آلاتهن • ويضاف الى علتى الخيبة المذكورتين سحب المعقف : فان 91 آلة قد وقع سحبها لاسباب طبية و45 آلة قد وقع سحبها لاسباب واهية • وكل الحالات المذكورة سابقا قطعت بان عددا يتراوح بين 17 و ٪ 20 من النسوة اللآتى حملن الاجهزة المركزة فى الرحم لم يمكن وقايته من الحمل بكل نجاعة • بيد ان عددا يتراوح بين 80 و ٪83 من النسوة المزودات بهذا النوع من الآلات اجتنبن الحمل فى مدة الدراسة •

ولا يخفى ان الوقاية من الحمل بهاته الطريقة لا تخلو من النجاعة الا انها لا تضمن وقاية مطلقة •

وقد وقع اثبات عدم منافاة تلك الطريقة للقواعد الصحية فى الولايات المتحدة وفى عديد من البلدان الاسياوية • اما فى تونس فقد ابانت ان تاثيرها ضئيل جدا على احداث التعفنات كلما روعيت شروط التطهير الناشىء عن اقصاء الجراثيم عند تركيز الجهاز وكلما وقع فحص دقيق للنساء قبل العملية • ولم يلاحظ الى الآن اى مظهر للسرطان داخل الرحم • وفى صورة اخفاق الطريقة

لا ينشأ اى تحريف لشكل الجنين وتتواصل اطوار الحمل الى اجل الوضع بدون سحب الجهاز من الرحم • وليس للجهاز اى مفعول ارمونى ولا تلك التأثيرات الضئيلة الخاصة بالعقاقير الواقية من الحمل المستعملة عن طريق الحلق •

وان التأثير المنجر عن لفظ الجهاز تلقائيا لا يبلغ ٪ 10 من عدد النسوة المزودات به ؛ غير ان الوقاية تفقد منذ التخلى عن الجهاز ، وهذا ما يشهد بخضوع الطريقة لمشيئة مستعملها •

واخيرا فان تبنى هاته الطريقة رائج جدا لبساطتها ولانها لا تتطلب فيما بعد اى تدخل من المراة • فهى لا تقتضى الا عزما واحدا من جانب المراة او الزوجين اللذين يوكلان أمرهما الى الطبيب الاختصاصى فى هذا الصدد ويتـركان له مسؤولية تطبيق الطريقة المذكورة • فهى تحرر من القيود الكريهة المؤلمة التى تفرضها احيانا بقية الطرق كالحواجز الآلية Condoms والحواجز الكمياوية (gelées Vaginales, aérosols) وغيرها •

وهى لا تنقص من اللذاذة ، وتطول مدة فاعليتها او تدوم على الاقل بمقدار الزمن المرغوب فيه ، وتكاليفها بخسة •

ويبدو اذن ان الوقاية من الحمل بواسطة المعقف المركز فى الرحم لهو فى هاته الآونة على الاقل الطريقة المثلى التى تناسب البلدان السائرة فى النمو ، المجابهة لتزايد فى النسل مفزع •

وقد ورد فى كتاب الاستاذ الفريد سوفى الذى صدر منذ بضع سنيـــن بعنوان « تكييف الولادات » ملاحظة استاذ هندى قد حثه امريكى على ترويج الطرق الواقية من الحمل بين الجماهير الشعبية التى كان عددها يتضخم بدون تحرج ، فأجاب الهندى : « هؤلاء رجال تصيبهم الحرمان المطلق : قوت زهيد ، واطمار بالية • اما الملجأ فدع الحديث عنه • فما لهم من لذة سوى لذة الوطء ومن سلطة سوى الابوة ، وها انك تريد ـ بموجب منطق غربى محترم ـ تجريدهم من هذه اللذة الوحيدة ، وهذا السلطان الفريد » •

ان الطريقة المذكورة لتجنب الحمل حرية بأن تفرخ من روع الاستاذ الهندى• فاذا ما طبقها ابناء وطنه فانهم لا يحرمون من لذة الوطء • اما سلطة الابوة فانهم يمسكون زمامها بمجرد مشيئتهم وبعملية صادرة عن طيب خاطر وروية لانجاب ابناء قدرغبوا فيهم وهيؤوا لهم اسباب العيش والصحة والتربية والكرامة•

اما بالنسبة لتونس فان تضاعف النسل بلغ حدا من شأنه ان يعرقل اهداف مخطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية للبلاد • وان البـلاد فى انطلاقتهـــا الاقتصادى لهى فى حاجة اكيدة الى برنامج قومى لتنظيم النسل مصاغ على ضوء البرنامج التجريبى •

وقد تبين بعد انهاء البرنامج التجريبى المنجز بتونس ان الوقاية من الحمل بتركيز « معقف ليبس » فى الرحم انما هى الطريقة التى تلائم اكثر من غيرها واقع المراة التونسية ؛ فيمكن اتخاذها اذن قاعدة لبرنامج قومى لتنظيم النسل •

باريس فى 23 ماى 1967

أضواء الفكر

• الأدب العـربي في تـونس :

جاء في جريدة صوت الخليج الكويتية . (25 أيار 1967) متحدثة عن الأدب في تونس ما يلي :

« الفكـر ... مجلـة ثقـافية أدبيـة تصدر شهريا في تونس ، لمديرها ومؤسسها الأديب السيد محمـد مـزالي ، مـدير عام الاذاعة والتلفزيون في الجمهورية التونسية الشقيقة والذي يـزور الكويت حـاليا تلبيـة لدعوة من الشيخ جابر العلي وزير الارشاد والانباء .

وتحدث السيد مزالي الى « صـوت الخليـج » عن مجلة « الفكـر » فقال انها مجرد مشـروع خـاص يقوم على جهد شخصي .. وقد اصدرها عـام 1955 بالتعاون مع فريق من الاساتذة ورجال الفكر في الجمهورية التونسية .

اما الهدف من اصدار هذه المجلة فهو كما يقول السيد مزالي خدمة الأدب العربي في تونس ... إذ أن المجلة متفتحة لكل محاولة جديدة متصدية لكل ما يهدف الاساءة الى الأدب العربي أو تشويه صورته المشرقة .

وهي كذلك تتحاشى التعصب لأي مدرسة أدبية دون غيرها ...

وأشار السيد مزالي الى حملة الاقلام الذين يسهمون في اصدار « الفكـر » فقال انهم جميعا يعملون متطوعين لا سعيا وراء أي كسب وهم بكتاباتهم انما يعبرون عن أحاسيسهم وتأملاتهم وذلك من قبيـل الخـدمة العـامة لا بقصد المتاجرة بانتاجهم الأدبي .

وتطرق الى الحديث عن مـدى النجـاح الذي حققته مجلـة « الفكـر » في رسـالتها ، فأكد انه يمكن القول ان من يريد دراسة الأدب العربي التونسي منذ الاستقلال حتى الآن ، فانه واجد ضالته في مجموعة هذه المجلة لانها هي المجلة الأدبية الثقافية الوحيدة التي تصدر في تونس الآن ..

وتحدث عن الجهد الذي يبذل في اصدار « الفكـر » فقال انه يخصص لها القليل من أوقات الفـراغ التي يتـركها له عملـه الشـاق كمـدير للاذاعـة والتلفزيـون ..

اما الانتاج الذي تقدمه مجلته ، فيقول السيد مـزالي انه يشترط فيه ان يكون محترما يقصد به فقط خدمة الأدب العربي والحفـاظ عليه من محاولات التشـويه ...

وقال ان مجلة « الفكـر » ترسل الى عدد كبير من الجامعـات الاجنبية في أوروبـا وأميـركا وروسيا كما انها تباع على نطاق محدود في بعض أسواق المغرب العربي .. أما في المشـرق العـربي ، فانها لا تكاد تباع ... ويعود

السبب في قلة انتشارها الى عدم التفرغ لترويجها والتعريف بها عند المواطن العربي في مختلف البلدان الشقيقة .. ذلك لان صدورها منذ البداية كان مجرد هواية ولم يكن احترافا الا اننا سنحاول قدر المستطاع توسيع نطاق انتشارها » .

◆ **تدشين الدار التونسية للنشر :**

قام السيد الشاذلي القليبي كاتب الدولة للشؤون الثقافية والاخبار في اواخر شهر جوان مع جمع من زملائه في مجلس الجمهورية بتدشين الدار التونسية للنشر . وهي المؤسسة التي يسهر على حظوظها الدكتور الحبيب بلخوجة . وقد جرى حفل لطيف حضره رجال الادب والفكر . نتمنى للدار الازدهار والنماء .

◆ **إحداث نيابة جهوية للدار التونسية للنشر بصفاقس :**

عقد الدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة الرئيس المدير العام للدار التونسية للنشر في غضون شهر ماي جلسة عمل مع المسؤولين بولاية صفاقس لدراسة مشاكل النشر والنظر في الطرق الكفيلة بتذليلها ولاتخاذ تدابير ناجعة ترمي الى توفير الكتاب التونسي وجعله غذاء فكريا ميسورا في ايدي ابناء الجهة يرفع من مستواهم ويحقق لهم بغيتهم الثقافية .

وقد تقرر في هذا المجال احداث نيابة جهوية للدار التونسية للنشر يتولى ادارتها موظف يعنى بترويج الكتاب وابلاغه الى جميع الطبقات الشعبية والمؤسسات الادارية والمنظمات القومية لضمان انتشار الكتاب حتى يقوم بدوره الثقافي الفكري المنشود .

كما عقد الدكتور الحبيب بلخوجة جلسة عمل مع المنتجين والمؤلفين القى خلالها الدكتور ابن الخوجة محاضرة حول الانتاج الفكري التونسي في العصر الحديث تعرض فيها للتيارات الفكرية والادبية في تونس مبينا بتفصيل وفرة التراث القومي في بلادنا ولزوم العناية به ونشره حتى تتأتى الاستفادة منه ويعم نفعه ، وركز على الدور الذي ينبغي ان يقوم به المثقفون المختصون في هذا المجال . كما تحدث عن اهمية الدور الذي يجب ان يقوم به رجل الفكر في تونس الناهضة في ميدان التاليف والترجمة لمواكبة حركة التطور الدائب في البلاد ومسايرة الحركة الثقافية والفكرية في العالم بكل تفتح لتحتل تونس مكانتها المرموقة بين الدول الراقية ، وتحدث عن امكانيات العمل المتوفرة لدى الدار ووسائل التشجيع وعناية الدولة البالغة التي تبعث على الانتعاش والمثابرة في السير الى الامام بكل جد وحزم .

وعقد جلسة بقاعة الافراح البلدية ضمت مديري المكتبات التجارية وتعاضدية الخدمات للمكتبات والمطابع ، ومديري المطابع درست خلالها الوسائل الكفيلة بتشريك هذه المؤسسات في طبع وترويج الكتاب التونسي

باعتبارها منافذ ثقافية هامة تتكامل مع الامكانيات العامة لاداء واجب قومى كبير فى سبيل تدعيم النهضة الفكرية التى تقوم بها الحكومة والحزب على مختلف المستويات لتحقيق النهضة الشاملة بالبلاد ، واتخذت فى هذه الجلسة عدة قرارات منها امكانية تشريك المطابع بصفاقس فى طبع الكتب عن طريق دار النشر ، كما وقع اقتراح تكوين لجنة من الاساتذة ورجال الفكر يعنون بمتابعة عملية الطباعة من ناحية سلامة النص واصلاح الاخطاء المطبعية وغيرها مع ضمان حقوقهم المادية وتقدير جهودهم من الناحية الادبية ٠

وقد شمل النقاش عدة مسائل هامة تخص مشاكل الطباعة وكيفية تذليلها سواء فى ميدان التجهيز او الورق او غير ذلك مع مراعاة امكانيات تطور البلاد ومقتضيات نموها الاقتصادى والاجتماعى ٠

• رصيف الزهور لا يلبى النداء :

جاء فى مجلة الرواد العدد الرابع السنة الثالثةان الاستاذ حنفى بن عيسى ترجم رواية « رصيف الزهور لا يلبى النداء » للكاتب الجزائرى **مالك حداد** ٠ وقد كنا نشرنا على صفحات الفكر (السنة التاسعة العدد الاول والثانى) مقتطفات من نفس الرواية التى قام بتعريبها الاستاذ محمد العربى عبد الرزاق٠

• النقد وترويج الكتاب :

ما تزال أزمة رواج الكتاب العربى تثير الاقلام شرقا وغربا وتدعو الكتاب الى البحث عن أسباب الازمة وها هو الاستاذ عبد الكريم غلاب مدير جريدة العلم المغربية يدلى برأيه فى الموضوع وقد نقلته مجلة الأديب لشهر مايو 1967 يقول :

« اعتقد ان الراى والنقد هو الذى يخلق القارىء ٠ فالكتاب حينما يطبع فى فرنسا او امريكا او انجلترا او الجمهورية العربية يتقبله القراء الاولون وهم النقاد بتلهف فيبدون فيه الراى محبذين او ناقدين او مهاجمين ويندفع الكتاب الذين لم يقرأوه بعد فيقرأون ويردون او يؤيدون وعن طريق هؤلاء واولئك يندفع الكتاب الى ايدى القراء بالرغم عن بعضهم فى بعض الاحيان ٠

قابلت صديقا منذ بضعة ايام وبين يديه كتاب (فرنسى بالطبع) سألته فقال فى حماس : كنت انتظره من اسبوعين ، فقد كتبت عنه جريدة الفيغارو ، وطلبه عدد كبير من القراء وقد تأخر عنا طيلة اسبوعين فلم يصل الا اليوم ٠

ولكن الكتاب عندنا فى المغرب يصدر ويعلن عنه فى الصحف مثلا ، وليس هناك قارىء تتحرك نفسه ليقرأه لاننا ما نزال فى حاجة الى الاعداد النفسى

للقراءة . وهذه المسؤولية هي التي لن يشعر بها حتى الان الذين يستطيعون ان ينقدوا الكتب هنا في المغرب .

قال لي الاستاذ عيسى الناعوري ونحن نتبادل كتبنا عندما التقينا في تونس. ان الذي تهدي له كتابك عادة لا يقرأه . وهذا صحيح في البيئة العربية الى حد كبير ، فالكتاب عادة يهدون كتبهم - في مقدمة من يهدونهم اياهم - للذين يستطيعون ان ينقدوا الكتاب . ولكن اذا كان هؤلاء لا يقراون ما يهدى اليهم فكيف نرجو تكوين جيل من القراء اذا لم يقم هؤلاء بواجبهم في عملية الاعداد النفسي للقراءة ؟

من هنا يتبين ان النقد هو الوسيلة الوحيدة لجلب القراء اما الكتاب الذي يمر من السوق في جو هادىء فسيظل - في بيئتنا الجامدة - كالبضاعة التي لا يعلن عنها مركونة في قعر الدكان تأكلها القرضة .»

• الأدب السعودي ومشكلة النشر :

منذ مدة والصحف تتناول هنامشكلةالنشر التي يعانيها الادباء السعوديون. ومن خلال المناقشات العديدة التي اثيرت ، تولدت احداث كثيرة ترسم بداية الطريق لنهضة ادبية على صعيد النشر والتوزيع والمنتديات الادبية ، كان من ابرزها ولادة « الدار السعودية للنشر » ثم دار « فكفن » اى الفكر والفن التي اصدرت مجموعة مؤلفات لكتاب سعوديين منهم محمد حسين زيدان ، ومحمد حسن عواد ، ونجاة خياط ، وحسن آل الشيخ وزير المعارف .

ثم وسعت « الدار السعودية للنشر » خطواتها فأصدرت عدة مؤلفات دينية ذات طابع خاص ، واصدرت - حديثا - كتابا حفل بسير ابطال الاســـلام عنوانه « سيرة بطل » من تأليف « محمد حسين زيدان » .

الاسبوع العربي (لبنانية)

- 22 ماى 1967 -

• مجلة الرائد :

صدر في شهر أفريل العدد الأول من مجلة الرائد المغربية وهي تحتوي على أبواب عديدة من أبحاث ودراسات وأدب وفن . نرجو للزميلة الجديدة النجاح وطول العمر .

• أدباء الكويت في قرنين :

ظهر أخيرا الجزء الأول من كتاب أدباء الكويت في قرنين لمؤلفه خالد سعود الزيد وهو يحتوي على ترجمة عشرين أديبا من مواليد عام 1776 م. حتى مواليد عام 1906 م.